الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــــوان المـــــذكّرة

ذاكرة الشتات في رواية عائد إلى حيفا "لغسان كنفاني

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- وردة بن خلفة
- نور الهدى رويبح

إشراف الأستاذة:

– معاندي عبلة

السنة الجامعية: 2020 - 2021

شكر وعرفان

نحمد الله تعالى أنه وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، ونتقدم بجزيل الشكر وكامل التقدير لأستاذة الإشراف الدكتورة " معاندي عبلة"

نشكر اللجنة المناقشة على قبولها تقييم مذكرتنا

إلى كل الأساتذة الأفاضل، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى رئيس قسمنا البروفيسور "بن علي لونيس"

وإلى كافة أساتذة قسم اللغة والأدب العربي وكل عمال جامعة عبد الرحمان ميرة " بجاية "

إلى كل من ساهموا معنا في إنجاز هذا البحث المتواضع، ونعني بذلك القريب والبعيد

إلى كل من كانوا عربون محبة وفائق التقدير.

إهداء

إلى من حبها ليزال نبضا تردده شرياني إلى ملاك قلبي وأحن شخص إلى صدري أمي ثم أمي ثم أمي

إلى آخر يوم في عمري إلى من أفدى عمره ثمنا لأجل بلوغ غايتي إلى من تحمل أعباء الحياة لا لشيء إلا لإرضائي

إلى من علمني أن الحياة عمل ومسؤولية أبي حبيبي، أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى زوجي حبيبي الغالي ونصف الثاني وروح الروح الذي يسكن قلبي والذي طالما كان سندي في طوال مشواري الجامعي وإلى عائلته الكريمة

إلى أعمدة البيت إلى أعز وأغلى ما عندي إلى من أفتخر بهم إخوتي صالح وزوجته وابنه أريس حفظه الله، جبار، حليم نور الدين

إلى إخوتي الغاليات التي أعتبرهم سندا لي في الحياة صبرينة وزوجها وأبنائها. شعبان كاتية إيمان أسامة كهينة وبناتها إيناس، ميلسا لندة حفظهم الله

إلى زميلتي التي شاركتني هذا العمل طوال المشوار الدراسي نور الهدى

إلى صديقتي وتوأمي منيرة وإلى أعز أخت كهينة

إلى الأستاذة المشرفة والمحترمة معاندي عبلة

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا العمل ثمرة خير ونجاح

-بن خلفة وردة-

أتقدم إلى إهداء ثمرة هذا العمل المتواضع إلى:

من ربياني صغيرا، وإلى من أتمنى أن أنال رضاهما وأنا كبيرة " والدي الكريمين "، إلى الإنسان الّذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح، السّند والقدوة، وأنار لي دربي ومنايا في الحياة، إلى من أحمل اسمه، قرة عيني

أبي أطال الله في عمره

إلى من رضاها غايتي وطموحي..... فأعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر.....! إلى باعثة التصميم والعزم والإرادة

صاحبة البصمة الصادقة في حياتي، الّتي ساندتني في صلاتها، إلى سرّ الوجود بعد الله والرّسول

أمي الحبيبة الغالية أطال الله في عمرها

إلى رفقاء دربي في الحياة أشقائي وخلاني

إلى رفيقتي في هذا المشوار، الّتي قاسمتني لحظاته " بن خلفة وردة "، رعاها الله وحفظها بحفظه

إلى أستاذتي الكريمة "معاندي عبلة"، ورئيس قسم الّلغة العربية "بن علي لونيس"

وإلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا

نسأل الله أن يجعل هذا العمل نبراسا لكل طالب علم

نورالهدى

مقدمة

تتضارب النظريات وتختلف حول إعطاء تعريف عام لمفهوم الرواية لأن أدب الرواية مازال في طور التشكل والتكوين المتواصل، ويرى بعض النقاد أن الرواية هي جنس أدبي نثري جميل يقوم على الحكي القصصي المرتكز على الخيال وتقوم على طرح قضايا أخلاقية واجتماعية مختلفة تهدف إلى معالجتها ومحاولة البحث فيها، لذلك فبعض الروايات تحث على الإنتاج والتغيير، ومنها ما يقوم على تقديم معلومة على موضوع غير مألوف وفيه بعض الغرابة بالنسبة للقارئ، وبعضها الآخر يقدم العمل الروائي كجنس فكاهي الهدف منه الإمتاع والتسلية. هكذا تتعدد الروايات الرواية الرومانسية الرواية التاريخية، الرواية السياسية الرواية الواقعية الرواية البوليسية الرواية الوطنية إلى غير ذلك من الأنواع.

إن الرواية عمل سردي متخيل وواقعي يرتكز على مقوّمات عديدة الّتي من دونها تفقد الرواية قيمتها وقدرتها على إيصال الأفكار، و هذه المكونات هي الأحداث والوقائع التي يمكن أن تكون متسلسلة في الرواية أو موزعة عبر فصول مستقلة بعضها عن بعض نسبيا، وقد تكون تلك الأحداث مرتبطة بشخصيات معينة ومقسمة إلى أحداث رئيسية وأخرى ثانوية ولكل منها دورها، وكما تتعدد الأحداث تتعدد الشخصيات وتتنوع، منها ما يحمل دلالات اجتماعية وفكرية وثقافية أو نفسية وتساهم هي أيضا في بناء الحدث الروائي ونحوه.

ضمن هذا الإطار، ارتأينا أن نسلط الضوء على أهم القضايا النقدية الّتي تناولت هذا الموضوع البحثي مع الكشوفات الهامة التي أماطت اللثام عن أهمية البحث في ذاكرة الأدب أو أدب الذاكرة ، ولأن السرد الروائي هو أحد أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بسؤال الذاكرة، وقدرة على التمثيل السردي للذاكرة بأنواعها المختلفة (الذاكرة الفردية، الذاكرة الجمعية، ذاكرة المكان، ذاكرة الزمن، ذاكرة الجسد...)، وبالنظر إلى الدور المحوري الذي تلعبه الذاكرة في البناء السردي ، فقد وجهنا اهتمامنا في هذا البحث نحو دراسة رواية الذاكرة أو ذاكرة الرواية ، وقد وقع اختيارنا في هذا الصدد على رواية عائد إلى حيفا للروائي الفلسطيني غسان كنفاني، محاولين استشكال علاقة الذاكرة الروائية بتجربة المنفى والتهجير واللجوء والطرد التي عاشها ومازال يعيشها الشعب الفلسطيني جراء الاحتلال الصهيوني الغاشم، هذه التجربة الإنسانية القاسية والدامية التي تلخصها مقولة الشتات الفلسطيني، بكل ما يحمله مفهوم الشتات من معاني الاضطهاد والفرقة والضياع والألم والابتعاد بل الاقتلاع القسري للجذور التي

تربط الإنسان بالمكان و التاريخ واللغة والتقاليد و الثقافة ...، وقد سعينا من خلال دراستنا هذه إلى الكشف عن تمظهرات الذاكرة المشتتة التي تلازم الإنسان الفلسطيني المشتت والمنفي والمهجر عن وطنه في النّص الروائي الذي صاغه غسان كنفاني، هذا النص الذي يعد –كما سنعمل على تأكيده لاحقا_ نموذجا تمثيليا بارزا للسرد الروائي العربي المعاصر الذي يصور الواقع المر للشتات الفلسطيني بكل مآسيه و آلامه وانكساراته .

وعلى هذا الأساس سنعتمد في دراستنا هذه إلى الاستعانة بآليات تحليل الخطاب السردي ، التي نعتقد أنها الأنسب للكشف عن البعد الذّاكراتي في رواية عائد إلى حيفا، محاولين الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المحورية: ما مفهوم الذاكرة؟ ما مفهوم الشتات؟ ؟ ماذا نقصد بالذاكرة المشتتة؟ وما مدى تجلى الوعي الذّاكراتي في النص الروائي لغسان كنفاني؟ ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة ، ارتأينا أن نرسم خطة للبحث على فصلين إضافة إلى مقدمة وخاتمة.

الفصل الأول تضمن الإطار النظري والمفاهيمي ، استشكلنا فيه مفهومي الذاكرة والشتات، أما الفصل الثاني فقد خصصناه للجانب التطبيقي، وقد قسمنا الفصل الأول إلى مبحثين، المبحث الأول خصصناه لاستقصاء مفهوم الذاكرة، تعريف الذاكرة (لغة واصطلاحا)، موضوع الذاكرة في الدّماغ، أهمية الذاكرة وعلاقتها بالمجالات الأخرى، الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة، الذاكرة في الرواية العربية الفلسطينية، الذاكرة والمكونات الروائية، أنواع الذاكرة في الرواية العربية.

أما المبحث الثاني، فقد عنوناه الشتات المصطلح والمفهوم، وقد تطرقنا فيه إلى الشتات من منظور تاريخي، مسلطين الضوء في هذا الصدد على مثالين مختلفين ودالين هما الشتات اليهودي، الشتات الفلسطيني.

أما للفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي فقد عنوناه "النموذج العملي في رواية "عائد إلى حيفا"، وقد تفرع بدوره إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول، دراسة العنوان شرحنا فيه عنوان الرواية وعلاقته بمسألة الذاكرة.

المبحث الثاني، دراسة الزمان والمكان وتطرقنا فيه إلى دراسة تسلسل الأحداث والأمكنة في الرواية.

المبحث الثالث، دراسة الشخصيات وعرضنا فيه أهم شخصيات الرواية.

وفي الأخير أنهينا بحثنا هذا بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لموضوع "ذاكرة الشتات" في رواية "عائد إلى حيفا.

صادفتنا أثناء إعداد البحث عدة صعوبات ، عملنا جاهدين على تجاوزها، منها:

ندرة البحوث والدراسات التي تناولت إشكالية البحث.

ضيق الحيز الزمني المتاح لانجاز البحث، بالنظر إلى طبيعة الإشكالية المطروحة، والتي تتشابك فيها عدةأبعاد(نفسية، اجتماعية ، سياسية، تاريخية...)، وبالنظر أيضا إلى الوضع الوبائي الصعب الذي تعيشه الجزائر والعالم بأسره بكل تبعاته السلبية.

وفي ختام هذا البحث، نحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في إنجاز ها البحث المتواضع على الرغم مما أتينا على ذكره من صعوبات.

مدخل الماهية والمفهوم

اهتم العديد من المفكرين بدراسة مفهوم الحداثة و الاشتغال عليه سواء على المستوى الغربي أو العربي اعتباره مفهوما يطرح نفسه على الساحة الفكرية، شاع في أواخر القرن الخامس عشر لفهم الحياة و التطور وإعادة صياغة الإنسان على نحو فكري معين يسعى إلى نبذ القديم و ارتداع المألوف، وقد جاء تعريف الحداثة في معجم لسان العرب لابن المنظور كالآتي :

« حدث الحديث: نقيض القديم، حدث الشيء، يحدث حدوثا وحداثة، وفي حديث المدينة الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ».[1]

أما "جان بودريار"، فيقول في هذا الصدد:« ليت الحداثة مفهومه سر بيولوجيا أو مفهوما سياسيا، أو مفهوما تاريخيا يحصر المعنى، إنما هي صيغه مميزه للحضارة تعارض صيغة التقليد أي أنها تعارض جميع الثقافات الأخرى السابقة أو التقليدية »[2] ، المعنى أن الحداثة تشمل مجموعات من التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما أنها مصطلح ذاع صيته في أغلب النطاقات الثقافية والفكرية التاريخية، مبرزا التطورات التي طرأت على أوروبا بشكل خاص في مرحله العصور الحديثة وتعد حصادا لعصر النهضة.

وتأتي ما بعد الحداثة كنقد لكل ما جاءت به الحداثة أو كمسلمات قائمه على التشكيك في كل ما جلبته تلك الحضارة، وتمتد من سنة 1970 إلى سنة 1990، «جاءت لتقويض الميتافيزيقا الغربية، و تحطيم المقولات المركزي التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي كاللغة والهوية والأصل، و الصوت، والعقل...»[3] من هذا المختصر نستدل أن حركة "ما بعد الحداثة"، جاءت كرد فعل على الحداثة في عواقب الدمار الناتج عن الحرب العالمية الثانية وفي سياقي الحرب الباردة، بعد ما كانت مرتبطة بالهوية و اللغة، مما أدى بالكثير من المثقفين إلى فقدان الثقة بها كما نشير إلى شيء متصل بالحاضر والمستقبل وتفهم على أنها مشاريع ثقافية تتباين من بين الأعمال الأدبية ومجالات التسويق والممارسات التجارية وغير ذلك.

[1] ابن المنظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي للنشر و التوزيع، م2،ط3، بيروت لبنان، 1999ص131..

[2] محمد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة (مجلة)- العدد3، يونيو، 1984 ص.12.

[3] جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحله ما بعد الحداثة ،دار النشر الأولوكة ،ج1، ط1 ، ص.15.

ولا يفوتنا على أن ننوه إلى أن مصطلح ما بعد الحداثة بني على نمط مصطلح "ما بعد الكولونيالية" واللذان يشتركان في صفه واحدة، فبعد الكولونيالية تعتبر ردة فعل على الخروج من سلطة الاستعمار بشكل مشابه لما بعد الحداثة التي هي ردة فعل على الحداثة و كتلميح بسيط للكولونيالية .

فهي تعرف بالهيمنة والسيطرة لدولة ما على أراضي دولة أخرى، ووصفتها الترجمات العربية بالاستعمار، ولقد ظهرت تزامنا مع ازدهار الرأسمالية كقوة صاعدة في العالم الغربي، حيث تمكنت من التحرك في الأراضي المستعمرة، ونشر التخلف فيها، لتكون لها الحرية المطلقة في نهب ثرواتها محاولة نشر الذعر والفزع لأغراض سياسية، تستخدمها الحكومات الاستبدادية لإرغام الشعب على الخضوع لها بزغت الكولونيالية بعد أن أصبح الغرب مصدرا للعلم والمعرفة والإبداع، وموطنا للنظريات والمناهج العلمية، ومن ثم فهي"المركز"، مما جعلها تفرض احتكارها ورغبتها في السيادة على كل الدول الضعيفة، فاعتمدت إستراتيجية السيطرة على القطاع الاقتصادي والتعليمي والمؤسسات الإعلامية فبهذا تمكنت الهيمنة على الشعوب المستعمرة فتأثرت بها كتأثرها باللغات الامبريالية وبعض المعارف الغربية كالفلسفة و التاريخ، فأصبحت بذلك "مهمشة" ويبقى الصراع كامنا بين طرفي هذه الثنائية، فتنفتح العلاقة بينهما على احتمالين، إما الاستقرار الذي يفرضه المركز على الهامش (أغلبها دول العالم الثالث)، أو تفكيك وتحليل تلك المركزية من خلال انقلاب الهوامش عليه كرد فعل، لكن حبذ لو تبادلت الأدوار بإعطاء المهمشين مكانة المركزيين ليعيشوا واقعا مختلفا.

ويمكن التمثيل لهذه الازدواجية بممارسات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، تكشف عن صور العنف وأشكال التعذيب، وإهدار المستعمر كرامة الإنسان الجزائري، كما تبين لنا الثورة الجزائرية النظرة الاستعبادية والعدائية، والقمع الفكري العنيف، مما نتج عنه مسخ الشخصية و طمس الهوية «كونها الرمز، أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة أية امة من حيث الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز»[1]، ولذلك بواسطة الإيديولوجية الاستعمارية والثقافة الفرنسية التي تفرض نفسها مستهدفة الانتماء وخصوصية المجتمع، وعودة إلى ما سبق ذكره، فان نظرية ما بعد الكولونيالية جاءت كرد فعل على الكولونيالية تسعى إلى تحليل ما بلورته الثقافة

[1] أحمد بعلبكي و آخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، بيروت–لبنان، تشرين الثاني، نوفمبر2013، ص.25.

الامبريالية والنداء إلى الاستقلال الفكري و الثقافي،« فمفهوم ما بعد الكولونيالية مصطلح ظهر بعد الاستقلال يرتكز على تفكيك الخطاب الاستعماري الكولونيالي و الاثار التي تركتها المرحلة الكولونيالية على الشعوب المستعمرة»[1] فهي عبارة عن دراسات نقدية حول أطلال الاستعمار، يستخدم لتغطية كل الثقافات التي تأثرت بالاكتداح الامبريالي التي ما تزال مستمرة إلى الوقت الحاضر.

فهذه الدراسة هي نتيجة إفرازات الاستعمار بعد استقلال المستعمر الذي نال حريته حديثا، كما اشتغلت على تفكيك الحكم ومجابهة الفكر الامبريالي، فما بعد الكولونيالية جاءت لإزاحة الستار عن الكولونيالية، ويمكن القول أن اغلب الدول الجديدة التي ظهرت بعد هذه المرحلة اتخذت نفس نموذج القوى الاستعمارية السابقة لها خاصة فيما يخص التقسيمات الإدارية، كما هو الحال مثلا في شبه القارة الهندية التي قسمت إلى الهند وباكستان من طرف الوحدة الكولونيالية البريطانية بقيت على حالها، إذا هي مستقلة شكليا فقط.

لقد أدى غزو هذه الجيوش الاستعمارية، إلى غزارة العمليات الانتقالية و الارتحالية نحو بقاع مختلفة من المعمورة من قبل المستعمرين (الأفراد البسطاء)حتى الجماعات الثقافية، ويكون ذلك نفيا أو بحثا عن الرزق وهروبا من بطش القوى الاستعمارية فيمكن تعريف المنفى «انه الشرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي بين الذاتي وموطنها الحقيقي، فلا يمكن البتة التغلب على ما يولده من شجن أساسي»[2] وينظر الى المنفى في اتجاهين مختلفين:

- مرغوب(طوعي): أي يكون بتفضيل الإقامة فيه والسعي إليه.

- مفروض(قسري): بوصفه حالة من الابتعاد والاغتراب والانفصال عن الوطن الأم وكل الأصول الثقافية والعرقية، يمكن الإشارة في هذا السياق إلى التجربة الفلسطينية التي تتضمن أنواعا من الابتعاد القسري والنفي العنيف، ومقاطعة الوطن، لان الشروط الاجتماعية و الثقافية دفعت الفلسطينيين إلى خارج وطنهم في ظروف

[1] أحمد العارف، التجربة النقدية عند إدوارد سعيد، قراء في المنجز النقدي ما بعد الكولونيالي، مجلة أبعاد/مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية و السياسية بالجزائر، جامعة وهران-الجزائر، العدد7، 31 ديسمبر2018.

[2] إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى1، ترجمة ثائر ديب، دار الأدب للنشر و التوزيع، ط2، بيروت-لبنا، 2007، ص.117.

معقدة خلال رحلة الشتات المستمرة، إذ يعيش اللاجئون هذه التجربة مرارا وتكرارا، لا يعرفون الاستقرار، مما يفرض عليهم حالة من الاستعداد و التاهب لتجارب أخرى من التهجير والبحث عن أوطان جديدة.

فيا ترى أي وطن ينتظر هؤلاء المهمشين والمشتتين

وطن مبرم عليهم بفروض سياسية، أم وطن دائم التواجد في وعيهم ذاكرتهم التاريخية ؟

يصوغ السرد تصويرا يتدفق من محصور ومعلوم الواقع الفظ والمدرار يعتمد على قضايا ومسلمات، ليحوز العمل الأدبي (النص) الصلابة والانسجام فتصبح تلك المادة مؤثرة و متأثرة إلى جانب معطيات السرد ومستلزماته مع المراعاة والحيطة من عدم حدوث خلل على مستوى الإنتاج السردي، وهذا ما أكده« إبراهيم موسى»، قائلا: "إن الماضي في الرواية جزء لا يتجزأ من الحاضر ولا ينفصل عنه فهو منسوج في ذاكرة الشخصيات ومخزون فيها، تستدعيه اللحظة الحاضرة على غير نظام ولا ترتيب"[1] .

فكيف تكون الذاكرة حصنا أو ملجأ للسرد؟

[1] شريف سعاد، جمالية توظيف الذاكرة الثورية في الخطاب الروائي الجزائري، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م2، عدد2، المركز الجامعي تيسمسيلت-الجزائر، 15 ماي 2019، ص.108.

الفصل الأول الذاكرة والشتات

المبحث الأول الذاكرة في الرواية

العربية المعاصرة

1. تعريف الذاكرة:

لغة: جاء في معجم الوسيط كالتالي:

من الفعل، "ذكر الشيء، ذكرا، وذكرا، وذكرى، وتذكارا: حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه

الذاكرة : قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها "[1].

أما المعنى الاصطلاحي، فهي "عمليه معرفيه تعني تخزين ما تم اكتسابه من معلومات بهدف استرجاعها عند الحاجة إليها بعد انقضاء فترة من الوقت وقد تطول أو تقصر"[2] فهي ميزة ذهنية تساعد الإنسان على إضمار المدركات و الأحداث اليومية والمواقف التي مر بها في حياته، فيقوم باستردادها عند الضرورة، مما يجعل الفرد يتعامل ويتفاعل مع العالم الخارجي، ويمكن القول أن مفهوم الذاكرة يشير بشكل عام إلى ممارسات ذهنية وفكرية، وإلمام بمعارف وبيانات مبينة على ترميز المعلومات التي يستقبلها الدماغ، يعالجها ويحتفظ بها إلى حين استعادتها من جديد.

2. موضع الذاكرة من الدماغ:

تكشف الكثير من التداولات والبحوث التحليلية أن الذاكرةmémoire"جارية في الفص الصدغي من قشرة المخ temporal du cortex cérébral lobe وفي الأجسام الحلمية (corps mammaires) في المهاد(thalamus) والجهاز الطرفي(système périphérique) حيث تخزن المعلومات في المناطق التي ترسل إليها وفي الفص الجبهي من المخ(lobe frontal de cerveau) فتحتفظ بتلك البيانات، وهي فعالة جدا ومتطورة، وتمثل مكان للذاكرة القصيرة الأمد(mémoire à court

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، م1، ط1، القاهرة-مصر،2004، ص.313.

[2] شيماء علي خميسي، محاضرة الذاكرة، جامعة بابل، قسم لغة القرءان، 10 ديسمبر 2016.

terme) ،وبعد ذلك تحول المعارف من هذه الأخيرة إلى الذاكرة الطويلة الأمد (mémoire à long terme)من خلال ما يسمى بالحصين(hippocampus)"[1].

3. أهمية الذاكرة :

تبدي الذاكرة دورا نشيطا وصلبا، خلال الحياة اليومية، وفي الواقع دون الذاكرة فان العديد من المجهودات، والطاقات لن تكون متمكنة بل تصبح عاجزة فالذاكرة تمثل جمع القدرات ذات نقاط ضعف،مثلا لأنها اشد عرضه للأخطاء وكذلك نقاط قوة كونها تقوم بتسجيل أهم الأحداث.

" تلعب دورا في الفهم والتعلم والعلاقات الاجتماعية، الاستدلال على وجود ذكرى لحدث قديم أو معلومة قديمة كلما اثر هذا الحدث على أفكار الشخص أو مشاعره، أو سلوكا ته في وقت لاحق"[2].

إعادة خلق الرؤية أو الحدس الحقيقية المستعادة

استعادة الماضي وتتابع العلاقة بين ما كان وما هو كائن

إعادة عيش التجربة من جديد (عيش الماضي)

الفصل بين الماضي والحاضر، وتوطيد الرابطة بين الذات والماضي.

إذا فالذاكرة نظام مادي في الدماغ، تكون فعالياته بتسجيل أو تمثيل العالم الخارجي.

4. الذاكرة من المنظور الفلسفي :

[1] رهام أبوورد، مكان الذكرة في الدماغ، الموقع الإلكتروني: موضوع، 7 جانفي 2019.

[2] جوناثان كيه فوستر،الذاكرة مقدمة قصيرة جدا، ترجمة مرة عبد السلام، مؤسسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، ط1، القاهرة– مصر، 2017، ص.128.

يرى الفلاسفة أن الذاكرة هي جملة من التأثيرات والتدخلات النفسية التي تسترد الماضي إلى الحاضر، من خلال العديد من معدات التذكر، ويتولى هذه الأخيرة عمليات تنقيب واستقصاء الخبرات مما مضى وفحصها، وكان كل من أفلاطون وأرسطو أبرز مؤيدي هذه النظرية.

كما جرى جدال ونقاش بين الفلاسفة والمفكرين حول طبيعة الذاكرة فمثلا تيودول ريبو فعلها نظرية مادية، كونها موجودة في المخ وحين تتعرض خلايا الدماغ إلى حادث أو إتلاف فان ذلك يؤدي إلى فقدان الذاكر.

أما برغسون فيرى أن طبيعة الذاكرة فردية، حيث تخزن الذكريات في نفس الإنسان لأنها مرتبطة بالحالة النفسية الشعورية التي يعيشها الفرد و "الواقع أن هذه المشاعر قد ترتبط بذكرياتنا و قد تكون مهمة بالنسبة لنا(...) مثل الحنين إلى الماضي و الاشتياق والنوق و الأسف"[1].

فلا يمكننا إدراك قيمة وهيب هذه الذكريات، إلا بعد تخيلها وتحليلها بأسلوب جديد وتغطيته بأساس اللحظة، وجعلها ذات صلة متينة بالواقع فالذكرى في الحقيقة لا تحضر بمنأى عند استناد جدلي فلا يمكن لأحد إحياء الماضي إلا بربطه بموضع شعوري حاضر بالضرورة[2].

وهناك من يمثل للذاكرة على أنها اجتماعية، وتجاوز كل من المادية والنفسية بمعنى، أن جميع الذكريات تخزن في ذاكرة المجتمع، فالكثير من حالات التذكر تلقاها الإنسان من الأطر الاجتماعية والتي تهدف إلى بناء الحاضر والمستقبل.

ولكن في حقيقة الأمر، لا يمكن فصل الذاكرة الاجتماعية عن النفسية و المادية لان كل الجهود العقلية و الحالات النفسية و مساعدة المجتمع، تقوم على استرجاع المعلومات كاملة.

---

[1] ميري ورنوك، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 4 جانفي 2007، بيروت-لبنان، ص.39.

[2] شريف سعاد، جمالية توظيف الذاكرة الثورية في الخطاب الروائي الجزائري، مجلة إشكالات، العدد8، 15 ماي 2019، ص.109.

5. الذاكرة من المنظور الاجتماعي:

تبين في المقررات الدراسية أن الذاكرة الجمعية، هي النهج أو الوسيلة التي تتذكر وتسترد بها الجماعات ماضيها، وتاريخها، ويكون التعامل هنا مع الذاكرة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وحادثة حسية، ذات معايير اجتماعية تتأثر وتتفاعل بفعل البيئة المحيطة والعوامل السياسية، والمنهجية التي يعتمدها لسرد التاريخ و نقله.

فكيف يمكن بناء الذاكرة الجمعية أو الاجتماعية ؟

"فالذاكر جملة من الأفكار، والرؤى والأحاسيس، المحفوظة من الماضي، يتشارك فيها ويجمع عليها عادة، معظم أفراد مجتمع ما، وتعتبر هذه الذاكرة جزءا من عملية بناء المعنى والعبر من الماضي"[1]، ومفهوم الذاكرة من جل المفاهيم الاجتماعية إشكالا ودقة والتباسا نظرا إلى الميادين المتفاوتة والمجالات المغايرة المتصلة بها، كالمجال النفسي والفلسفي والاجتماعي والسياسي.

عرفت ثقافة الذاكرة توسعا ملحوظا بحكم الوقائع والأحداث والثورات، وتحمل نتائج الأسى و الآلام، خاصة الفترة الزمنية التي عاشتها البشرية بسبب الحرب وما نتج عنها من دمار وخراب.

فليس من السهل أبدا أن يعيش المرء طفولته، أو فترة مراهقته في ظل جمع رهيب من الحروب، ويذوق طعم الطرد و النفي والتهجير، ناهيك عن ذلك إن فقد احد أقاربه في فترة زمنية يسودها الرعب والهول. ومن علماء الاجتماع من يرى أن "عملية التذكر الفردي لا تتم إلا بوجود المجتمع وقائعه فمثلا اعتادت بعض القبائل، ودأبت على تنظيم مناسبات للتذكر تمارس فيها الطقوس الاحتفالية كالأعراس"[2].

ويوضح موريس هالبفاكس وهو من علماء علم الاجتماع، ربط الذاكرة الذاتية للفرد بذاكرة المجتمع وفق معدات واطر اجتماعية، كما انه "لم يغفل أن يربط في دراساته حول الذاكرة الجمعية الذكريات الشخصية للفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه واعتبر أن الإطار الاجتماعي والذي تنشئه ثقافة مجتمع ما يسهر على وضع نسق جمعي

[1] باسواجبور ولحسن أيت الفقيه، أملشيل–الذاكرة الجماعية، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ط1،الرشيدية–المغرب،11 ماي 2011، ص.11،12.

[2] المرجع نفسه، ص.10.

يجعل الخبرات الفردية قابله للتذكر والتأويل[1]، وكون الذاكرة مجموعة من العمليات النفسية والفكرية المتفاعلة فإنها تحتوي على العوامل الاجتماعية تهدف إلى استرجاع الماضي.

فعلى سبيل المثال: عند تذكر التجارب التاريخية مثل الحروب أو المقاومات لمجتمع ما فان الاستطاعة العقلية والمؤهلات والمجهودات الذهنية تتفاعل و المؤشرات النفسية سواء الشعورية أو لا شعورية، إضافة إلى البيئة الاجتماعية حق تتمكن من استرجاع المعلومات المطلوبة.

ولتوضيح الأمر أكثر، فعلى سبيل المثال، تتذكر الأجيال الفلسطينية الآتية لاحقا بعض أو كل المراحل التاريخية التي مرت في تاريخ المجتمع الفلسطيني مثل أزمة 1948 م، حتى ولو أنهم لم يعيشوا تلك اللحظات ولم يشكل انفعالا خاصا أو تجربة شخصية، إلا أن ذلك يمثل انعكاسا لهوية المجتمع ، وحدثا تاريخيا لا يمكن نسيانه.

ومن أهم مهام الذاكرة تعزيز الشعور، وتنميه الوعي والإدراك لدى المواطنين الأصليين وذلك بالانتساب إلى جماعة ذات ولاء سياسي أو عرقي، تعترف بالحقوق والواجبات، و يلتمس المبادلات بالذاكرة إلى كشف واجتناب كل جريمة في حق الإنسانية.

6. الذاكرة من المنظور التاريخي:

تمثل الذاكرة التاريخية، مستودع المعارف والإدراك الذي ظمرته وخزنته العقول العربية أو الغربية خلال فترة زمنية عابرة، حيث صورت وترجمت ذلك بأشكال عديدة كالروايات الشفوية أو المكتوبة، (مدونة، تقوم على توليد رابطة وثيقة بين التاريخ و عملية التذكر، والاستمرار والإصرار في البحث عن الممارسة التاريخية بوصفها محصول الممارسة الذاكراتية.

فهل توسعت الذاكرة إلى ذاكرة تاريخية؟

أولا: عند قديم اليونان (الإغريق):

[1] المرجع السابق، ص.12.

تلقت المعالم الأدبية، والأشكال الفنية، اهتماما ملحوظا من طرف الثقافة الإغريقية، والمعروف لديهم قديما أنهم يجعلون لكل شيء أو لكل قوة في الأرض أو السماء، وكل صفة ولو كانت رذيلة إلها أو آلهة، حتى الظواهر الطبيعية. كانت "الذاكرة" ضمن هذه الأشياء فجعلوا منها آلهة تدعى "مايموسين، وجعلوا لها بنات تسعا (ميوزات) من ملهمات الشعر والموسيقى والفنون، هي الآلهة الحافظة لذكرى الأبطال والشعراء، والشاعر بدوره مسكون بالذاكرة"[1].

وقد كان هذا قبل أن تصبح "الذاكرة" موقفا فلسفيا لدى كل من أفلاطون و أرسطو، ويبين أفلاطون أن تحليل الذاكرة مرتبط بإشكالية الزمن، و أن الذاكرة هي المسافة الفاصلة بين الماضي والحاضر، وتعد مرآة ما مر به الإنسان في حياته.

تحتل الذاكرة أهمية كبيرة في المجال السياسي، "ولم تلبث الذاكرة تتوسع في مفهومها ودورها حتى أضحى لها دور في تطهير السياسية وتحسين الخطابة واللغة"[2].

ثانيا: من العصر اليوناني إلى الوسيط المسيحي:

وانتقالا من العصر اليوناني القديم إلى العصر الوسيط المسيحي، حيث تطورت الذاكرة وتعرضت بنيتها إلى تحولات كثيرة بسبب انتشار المسيحية واحتكار الكنيسة حيث انتصب معلم لمفهوم "الذاكرة" و"التاريخ" "هذا المعلم يتمثل بكتاب الاعترافات للقسيس أغسطين، فالذاكرة هنا حقل اعتراف وتوبة وغفران"[3] هكذا تطورت الثقافة المسيحية بتطور الذاكرة الكنائسية و التي طغت على الكثير من الجوانب الهامة من الحياة، قائمة على نشر تعاليم المسيح والحواريين والاعتداء بهم، بغية إثبات وتحقيق الهوية الدينية تحت إطار قيادي تربوي.

ثالثا: من الوسيط المسيحي إلى الوسيط الإسلامي:

[1] وجيه كثراني، الذاكرة من منظور مؤرخ، مجلة التبين، العدد33،/9، 2020، ص.14.
[2] المرجع نفسه، ص.14.
[3] المرجع نفسه، ص.14

تميز العصر الإسلامي بازدهار "الذاكرة" وخاصة "الذاكرة المكتومة" فكان أصحاب هذا العصر قد تمكنوا التفاعل مع العالم الداخلي والخارجي المحيط بهم، مما جعل هذه "الذاكرة" ذات قيمة، وتزودهم بالكثير من الثقافة والمعرفة.

وسابقا، لا نصادف هذه اللفظة (الذاكرة) كثيرا، "غير أن ما نجده بكثرة وافية من مفردات، كالخبر والذكور الحديث والسيرة والسند والإسناد والرواية والراوي والشهادة وغير ذلك، فإنما يدل مضمونا ومعنى على مدلولات الذاكرة، بما تعنيه هذه الأخيرة من صفات آو حالات، بل انه التاريخ نفسه في وعي الناس"[1].

وتمكنت الذاكرة التاريخية من إثبات نفسها، اعتمادا على مختلف العقائد والأسواق الموسمية والرحلات التجارية، والتي ساهمت بشكل كبير في تصويرها دون التغافل عن دور السرديات الشفوية.

على الرغم من أنهم يتخذون الحفظ والتعبير الشفهي كمنهج، إلا أنهم اكتسبوا القدرة على الكتابة والتدوين، فقد تم العثور على نماذج عديدة تمثلها،كالتوثيق عن طريق النقش على الطين أو الحجر، و الكتابة على الجلود والألواح، وكان بعض الشعراء يكتبون أشعارهم ويعلقونها، فكان للكتابة دورا مثيلا في التعرف على الثقافات الأخرى والتأثر بها، وتعد القصائد الشعرية أكثر ما تبينه "الذاكرة التاريخية"، فهي تترجم وعيا وإدراكا تاريخيا غائرا لما كان يشمله من حقائق صحيحة، ووقائع. ظهرت بعد الشعر القصص كلون نثري خاص في سرد الأحداث والحوادث وترتيبها، ضف إلى ذلك الحكم والأمثال التي احتلت مكانة بارزة، كونها خلاصة نظر معمق إلى الحياة وتحليلها تحليلا دقيقا، تمتاز بقوة التأثير، وتحمل في طياتها دلالات تاريخية تحوي الكثير من المذلولات. فقد كانت "الذاكرة" أداة عملية لنقل هذه الأخيرة و تداولها عبر الأجيال،" وكل هذا سمي في الثقافة العامة بشيء كثير أو قليل من التجوز (ذاكرة تاريخية)"[2]، **أي اختلاط الذاكرة و التاريخ**، بكون الذاكرة اقرب إلى الحقيقة لأنها "واقع حي"، بينما التاريخ معرفة تدرس ذلك الواقع، لإعادة بنائه على قواعد موضوعية.

[1] المرجع السابق، ص.15.

[2] المرجع نفسه، ص.16.

إذا فالذاكرة التاريخية، سواء كانت موروثا روائيا أو شفويا أو مدونا أم وثائقا، فهي تمثل المادة الخام للتاريخ، لا يمكن إعادة بناء الماضي بدونها إذا هي عملية ذات وجهين وهما الذاكرة والتاريخ.

7. الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة:

الذاكرة في مشغل السرد:

قد يكون الماضي عبارة عن تاريخ مقرر، أو لحظات ووقائع معينة مرت وخلدت في ديوان زمني، حاملا بين ثناياه تعاقب أحداث وتطورات الحياة وإقدامها على الاستمرار والتوتر، كما يمكن أن تحقق الامتداد الزمني والتوسع المكاني باتجاه الحاضر والمستقبل، وبما أن التاريخ هو الميثاق الشامل لهذا الماضي، فلابد من استمرار قدرته على التفاعل والتأثير في الوقت الجاري و الوشيك عبر آلية "التذكر"، ومن هنا يعد " الأدب من أهم أفعال التذكر التي تؤثر في الذاكرة(....) والتعبير عن المواقف و التصورات المتعددة عن الأحداث في شكل حواري() يحتضن القول ونقيضه"[1]، أي أن الأدب يفتح مدخلا لذاكرة المتلقى ويحولها إلى نص رفع المستوى، وتصبح بذلك موثقة ومثبتة لهويته متجاوزا بذلك ذاتيته وعالمه الداخلي.

فكيف يمكن للذاكرة أن تكون مشغلا أو ملاذا للسرد؟ وما محلها من الرواية العربية المعاصرة؟

تمثل الذاكرة نقطة انطلاق مركزية للسرد، بحيث يحتفظ بالنظم الترتيبي و الشكل النسقي للأحداث والذي ينقسم ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، يتمكن الكاتب أو المؤلف من خلاله التعبير عما يختلج في صدره من اضطرابات دون خوف، فينساب داخل الماضي وبين خلايا أزمنته.

فالذاكرة هي إلتئام وتفاقم الفكر والذهن لدى السارد بدءا من صورة حياته الاجتماعية والنفسية، فهي همزة وصل بين الماضي والتاريخ.

[1] إدريس الخضراوي، من التاريخ إلى الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد، مجلة التباين، العدد9/33، 2020،ص.87.

ويرى بول ريكور أن هناك أنماطا من الذاكرة "فهناك الذاكرة السلبية «الحيوية» التي لا أثر للإرادة فيها، وهناك الذاكرة الفاعلة(....) وان السرد يعتمد على النمط الثاني من الذاكرة"[1] أي أنها بث حيوي على حق العمل الروائي من خلال فرض سلطتها الدلالية و حمولتها الفكرية، فيصرح "بول ريكو" أن الذاكرة هي الحلقة المفقودة بين السرد والزمن.

كما تعمل الذاكرة على تجسيد المرحلة التاريخية التي عاشتها الشخصية في إطار سردي.

ثانيا: الذاكرة في الرواية الفلسطينية:

بالرغم من أن الرواية تنحت عن تبني الذاكرة، إلا أن هذه الأخيرة تشير و تنص على كل ما اعتزله الحاضر، وتبدو خلال الوظيفة الروائية صدرا دافئا وحصنا بالزمن والتاريخ القديم، الذي طمر ساحقا في "الذاكرة"، ولم يستطع النسيان استئصال وجهها ومحق صورها.

وربما كان إلزاما علينا التمثيل لها بشيء من الأدب العربي، بدراسة "الرواية الفلسطينية المعاصرة"، وهي عبارة عن نتائج مؤلفين يتوافقون ورغبتهم في التطور، فتجمع بين التحليل التاريخي والقراءة لأهم أدباء الرواية الفلسطينية، أمثال: "جبرا إبراهيم جبرا" و"غسان كنفاني"، والتي تدعو رواياتهم إلى نظرة إنسانية و التضحية بالنفس و النفيس.

"فالرواية الفلسطينية" عبارة عن سرداب "الذاكرة" الرضة للثورة الفلسطينية التي تبحث عن الحق المسلوب و الإعراض عن الشعور بالظلم والقمع والإذلال، كما التمست على رصد الوقائع، وإدراك الفلسطينيين بالمخاطر المحيطة بهم من جزاء الاحتلال العاسف.

تعد النكبة الفلسطينية سنة 1948 تاريخ انطلاق ظاهرة الشتات الفلسطيني، "وقد واكب هذا الفعل من الترحال القسري قلق يتحدد بتداعيات الموت والتدمير(...)، والتي تكمن تداعياتها بعيدا في الذاكرة، ولهذا لابد

[1] مها الهنداوي، سرديات الذاكرة المأزومة،قراءة في الرواية العراقية المعاصرة، جامعة المستنصرية، بغداد–العراق،30جوان2018، ص.3.

من تفعيل قيم التذكر"[1] فقد أصبح الأدب الفلسطيني الذي يكتب داخل فلسطين وذلك الذي يكتب في المنفى في تفاوت راهن، خاصة هذا الأخير الذي يقوم على ترجمة المراحل التجريبية، فقد ظلوا محرومين من بلادهم مخلفين وراءهم منازلهم وقراهم و مدنهم، إلا أن عزلتهم تلك لم تؤدي بهم إلى الانحراف، بل ظلوا على صلة وثيقة بالحركة الثقافية والمراكز الأدبية العربية "فالرواية الفلسطينية بوصفها نصا سرديا يؤسس لتمثيل هذه التجربة لغويا، ولهذا كان لابد للمعطيات السردية أن تنبعث على السطح من حيث تشكيل شخصيات العمل الروائي"[2]، أي أنها تعكس وقائع الحياة العربية المحتفلة عامة والفلسطينية خاصة، فاتخذ أدبائهم من الكتابة والتدوين والتأليف سلاحا لقضيا لهم.

وتبقى الرواية الفلسطينية مرحلة من مراحل تشكيل التذكر و الذاكرة الفلسطينية، حتى تشد وثاق الماضي والحاضر وتداولها مستقبلا.

" ويشار إلى أن الذاكرة، إحدى مفردات العملية الاستعمارية ونسقها"[3] كون إسرائيل دولة امبريالية في كل مرة تلجا إلى تنغيص الحياة اليومية على الفلسطينيين تراهن على ضعف "ذاكرة الشعب" كما تسعى جاهدة على محوها تماما فانطلقت هذه المواجهة في تغيير الأسماء العربية للشوارع والمدن الفلسطينية إلى أسماء توراتية، قصد ملامسة العمود الفقري للوجود الفلسطيني، وذاكرته التاريخية، لذلك كان على فلسطين حق الرد والمحافظة على ذاكرتهم وعليهم "أن يمارسوا ذاكرتهم بنسق وظيفي، إذ لا بد من خلق مرويات ، وسرديات فلسطينية كي تبقى الأرض عصية على التعبير"[4]،فهم يسعون بنوع من التحدي إلى التمسك بالوطن بواسطة الذاكرة التي تعد إرثا مقدسا بالنسبة لهم، فمثلوا لذلك اعتمادا على الكتابة والتدوين يحاولون بتوثيق قصصهم وكل ما عاشوه من أشكال الظلم والاحتلال ولكل الأساليب الإرهابية والعنيفة،و تعد الكتابة الروائية من ابرز النصوص التي تتأثر بفعل الذاكرة التي هي بحد ذاتها متأثرة بالممارسة الكولونيالية.

---

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير سردية الشتات الفلسطيني، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان-الأردن،2017،ص.97.

[2] المرجع نفسه، ص.97.

[3] المرجع السابق، ص.99.

[4] رامي أبوشهاب ،في الممر الأخير، ص.101.

فالذاكرة في الرواية الفلسطينية ذاكرة طويلة وقوية تختلف نوعا ما عن نظائرها، فهي معززة بالتجارب المريرة والخبرات ممزوجة بالصبر والشجاعة رغم قساوة الحال.

8. الذاكرة والهوية في الرواية:

الكتابة هي النطاق الذي يستطيع فيه الكاتب، التعبير عن ذاته أو عالمه الخارجي والكشف عن مختلف أوجه الحياة.

كما تسعى الرواية إلى تعريف الذات بذاته، وتحقيق الهوية، و تعد الذاكرة هي القاعدة الأولية للهوية، تعمل على استرجاع الذكريات والأحداث الماضية لوضعها في عملية التكيف والتعايش مع المحيط، أما الهوية فهي امتلاك القدرة على البقاء واعيا، إذن هما وجهان مترابطان (الذاكرة والهوية) إلى حد ما، والعمل على تشغيل الذاكرة والقيام بعمليه التذكر هو في حد ذاته إعادة بناء للهوية الشخصية أوالذاتية، وفقدانها يكون بفقدان الذاكرة. فالذكرى شرط مهم للوعي ومعرفة الذات، كما أنها تتجه في ثلاث اتجاهات، استرداد الماضي، و الاشتغال بالحاضر، وتوقع المستقبل فمثلا في متن الرواية نجد المؤلف يبدي مشاعر التعاطف تجاه هويته الشخصية على أمل استعادة الذاكرة التي هي"أيضا فن القص الذي يتخذ هوية الفرد"[1]، فعلى سبيل المثال الرواية الفلسطينية تسعى إلى استعادة فلسطين التي كان محوها 1948، وإحلال إسرائيل ما حلها من خلال عمليه التدمير، فمعظم السّرديات الروائية الفلسطينية تقدم تصوير مأساة الخروج والشتات والدفع باتجاه المنفى، كما تكشف عن رؤية الهوية الفلسطينية وكيفية بنائها من جديد قادرة على مواجهة الهوية الصهيونية، فتحتفظ الذاكرة بما قاسوه وبما مروا به، فتعمل على استدعاء تلك الأحداث وتنظيمها داخل النص الروائي، فهي مسؤولة عن جانب كبير من ضمان نشوء الهوية، إلا أن في بعض الأحيان تكون الذاكرة تدميرا للهوية، حين تستدعي قيام إسرائيل بتدمير الهوية والتراث الفلسطيني من تغيير في أسماء الأماكن وكذلك تحريف المناهج المدرسية وحذف كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية خاصة بعد النكبة، والغريب في الآمر أن العالم يغض بصره حيال ما يحدث.

[1] سعيد حمداوي، ورطة الهوية بين جدلية الذاكرة والنسيان، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م9، العدد4، جامعة أم البواقي– الجزائر، 7 نوفمبر2020، ص.505.

فالرواية الفلسطينية تبين أن الهوية تنبع من ذلك الماضي والسجلات التاريخية والأرشيفات التي يمكن إثباتها وإعادة إظهارها بواسطة "الذاكرة".

9. الذاكرة المكانية في الرواية العربية:

اغلب الدراسات السردية تناولت عنصر المكان في الرواية، حيث يمثل بؤرة تقوم على تنظيم الوقائع والأحداث داخل النص، فهذه الدراسة تركز على الدور الذي يلعبه المكان، إذ انه يشكل عنصرا مسيطرا وخزانا للأفكار والمشاعر، يمكن معرفته أو معرفة دلالته من خلال الشخصيات، فقد عملت الروايات على منح المكان أبعاد نفسية و اجتماعية وتاريخية، وانعكاسه على حياة الشخصية وانطباعه في "الذاكرة".

ففي نموذج الخطاب السردي الفلسطيني نجد أن المكان يمثل ذاكرة حنينية خاصة، و بالخصوص أن اغلب الروائيين يعيشون حالة عزبة جبرية وقسوة المنفى،فيجدون أنهم يمزجون بين ذاكرة الواقع وذاكرة الزمن والتاريخ، ولهذا كان لابد للمسلمات السردية أن تحيي مكانة المكان "فكانت جماليات تصوير المكان، ورسم حدوده من خلال تتبع مواقع القرى والمدن الفلسطينية التي خلفها الراحلون"[1]، فالنّص الروائي يتحرك في أماكن متعددة، كثيرة الحنين للذاكرة التي تتوزع بين ذاكرة المؤلف وذاكرة المغتربين والعائدين والمنفيين مستحضرا في ذلك كل الصور القريبة والبعيدة في الذاكرة. اغلب الخطابات الروائية الفلسطينية تتضمن على الأقل أربعة أمكنة (فلسطين، غزة، حيفا، يافا، القدس....). فعلاقة ذاكرة الرواية بذاكرة المكان، كعلاقة الروح بالجسد مع استحضار عميق وحاد وأصيل للماضي.

10. الذاكرة الزمنية في الرواية العربية :

مازال عنصر الزمن يتصدر الدراسات الأدبية و الفكرية خاصة السردية. (الرواية العربية المعاصرة)، حيث تمثل مراحل تولي الروائي بالزمن كما انه يشكل جوهر السرد .

[1] رامي أبوشهاب، في الممر الأخير، ص.97،98.

تمثل الذاكرة علامة من علامات الزمن السردي أو الروائي، لأنه يشمل الحياة التي تعيشها الشخوص داخل العمل الروائي.

وعلى نحو الرواية الفلسطينية، نلاحظ تشكل الزمن يمثل المدة الزمنية التي عاشتها الذات الإنسانية تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، أو نكبة 1948م، كما يلزم أن يتطابق مع الترتيب المألوف للأحداث حسب تسلسلها الكرونولوجي، ووفق شكلها المنطقي من خلال لجود "الذاكرة" إلى التوثيق التاريخي و الخبرات القديمة، فنرى أن السارد أو المؤلف يروي لنا من "الذاكرة" تارة عن واقعه و تارة يعود للزمن الماضي، زمن قبل أو بعد الحرب .

ويرى بول ريكور أن "الزمن لا يكون بشريا إلا عندما يضبط بطريقة سردية و من هذا المنطلق، فإن الذاكرة هي الحلقة المفقودة عنده بين الزمن و السرد"[1]، بمعنى أن الذاكرة تنقل حقيقة سابقة تضمنها الزمن عن طريق عملية التذكر و الاستذكار، فالشكل الزمني للأحداث يجعل المتلقي يشعر أنه أمام الواقع.

و لهذا يبقى الزمان هو البنية الأساسية للسرد الروائي، فلا يمكن للأحداث أن تقع إلا في إطار زماني محدد.

11. الذاكرة والشخصيات الروائية:

تتصدر الشخصية مرتبة جسيمة في بنية الشكل السرد عامة و الروائي خاصة، فهي واسطة الروائي للتعبير عما يجول حوله و توضيح رؤيته، و التي تتكفل بتنظيم الأحداث و ترتيب الأفعال و إعطاء المتن الروائي بعده السردي، كما أنها المسؤولة عن تنمية الحوار و الكلام داخل النص، فهي على مقام من الاقتران شفا الالتحام بالواقعة، و على هذا الأساس ينتقي المؤلف شخصياته من أشخاص حقيقيين إما من محيطه الذي يعيش فيه أو أشخاص رائجة على ألسنة والناس و القيام على تحويلها من نماذج .حياتية إلى خيالية، فتبنى على أطوار متفاوتة تتطور بتطور حوادث الرواية.

[1] مها الهنداوي، سرديات الذاكرة المأزومة، ص.3.

تشتغل شخصيات الرواية على استعادة الذاكرة، على سبيل المثال لا الحصر (الصراع الفلسطيني الإسرائيلي) لتجسد مرحلة تاريخية عاشتها لتكون صورة معبرة عن الألم النابع من معاناة الشعب الفلسطيني و الصمود أمام كل نكبة، فالروائي يصور لنا قسوة التجربة الماضية خلال الحرب الفلسطينية و انعكاسها على ذاكرة تلك الشخصيات " إذ عليها أن تتحدث على أنفسها و أن تتحمل عبء القصة كاملا و التي يجب أن تكون ذاتية التفسير في كل لحظة"[1] و ذلك باسترجاع الذكريات و استذكار الخبرات التي مضت، فيحس القارئ أو المتلقي أو المستمع أن تلك الأحداث و كأنه يشاهدها الآن.

كما تتنوع الشخصيات الروائية كل حسب دورها و كل حسب ذاكرتها، فتنقسم إلى شخصيات رئيسية و هي التي تتواجد في المتن الروائي بنسبة الخمسين بالمائة، و تبرز من بينها شخصية مركزية، أما الثانوية فهي العامل المساعد للرئيسية في التفاعل الروائي حتى في استعادتها لذاكرتها لربط الأحداث أو إكمالها. و بصفة عامة استذكار الشخصيات لتلك الأحداث مرتبطة بخصوصية و أهمية ذلك الموقف.

أنواع الذاكرة في الرواية العربية :

تشغل الذاكرة في الرواية العربية مكانا فريدا على صعيد التجارب المعايشة و الخبرات الماضية، فيحولها الروائي بواسطة الكتابة إلى واقع و كأن أحداثه تحدث في الوقت الحالي، اعتمادا على عملية التذكر و الاستذكار، التي تزيد المتن الروائي أبعادا مختلفة سواء على المستوى الضمني أو المستوى الشكلي، و ما يمثل تعميقا بين النص الروائي و تلك التجارب الإنسانية، لأنها تراهن على صوغ أجوبة لدبيب الأسئلة التي يواجهها الأفراد في المجتمعات العربية.

فذاكرة المؤلف، أو الروائي، ممتلئة بصورة كثيفة بالذكريات الأليمة و المغلفة بالحزن و الأسى و شيئا من الخوف، و تبعث إحساسا من الوحشة و الفراغ، فتتداعي إلى ذهنه فيرويها، و تتنوع الذاكرة من شخصية إلى شخصية أخرى، و من نص إلى آخر.

[1] د. صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى، اتحاد كتاب و أدباء الإمارات، م1، ط1، 1 جانفي 2001، ص.14.

تتراوح الذاكرة بين الحديثة و الدلالية و ذاكرة الحواس، كل واحدة منهما مختلفة عن الأخرى إلا أن الهدف واحد و هو التذكر و استرداد ما مضى، فتتجسد "الذاكرة التصريحية في التذكر الواعي، أو بشكل طوعي لحادثة وقعت في الماضي"[1] (الحديثة أو التوضيحية)، بمعنى أنها الاستذكار المتعمد للمعلومات الواقعية و الخبرات و المفاهيم السابقة، تحت إطار زمني أو مكاني معين، و تسمى أيضا و في كثير من الأحيان الذاكرة السرذاتية، و يمكن القول أن هذا النوع من الذاكرة هو المسيطر في الرواية على غرار الأنواع الأخرى كالدلالية «التي تعنى بتذكر الكلمات و الأفكار و المفاهيم...» إلى غير ذلك، و ذاكرة الحواس هي التي تعتمد على الملاحظة و اللمس و الشكل و تعرف أيضا بالذاكرة ذات النطاق الأوسع.

رغم هذا التنوع الذاكراتي، إلا أن هيمنته في النص الروائي تختلف حسب الأحداث.

[1] عمر كوش،مقال الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة،على الموقع الإلكتروني : معابر

المبحث الثاني الشتات في المفهوم الروائي

1. الشتات المصطلح والمفهوم:

وردت كلمة الشتات في " لسان العرب" بعدة معاني ومن ذلك " الشّتُ: الافتراق والتفريق، شتَّ شعبهم يَشتُّ شتًّا وشِتاتا وتَشتَتَ أي تفرّقَ جمعه ... وشعب شتيتُ مشَتَّتُ ويقال: إني أخاف عليكم الشّتات أي الفرقة."[1]

ويعني ذلك ارتحال أمة لا ذوات مفردة أو خروج شعوب أو قبائل من ديارهم الأم وفقدانهم الوطن والإحساس بالخسران، بالقوة دون رغبتهم بذلك فيتفرقون في بقاع الأرض لا مأوى لهم.

الشتات يتمركز حول الدلالة التي تحيل إلى التفرقة والجماعة والتي في إحدى مستوياتها تحمل بعدا سلبيا للكلمة فقاموس " إكسفورد" للغة الإنجليزية يشير إلى كلمة الشتات تشير إلى " اليهود" وتشتتهم أو تواجدهم خارج " فلسطين" " فقد أضحى مفهوم الشتات أسيرا لتقاليد الضحية (اليهود) الذين باتوا النموذج المعياري كما يرى روبين كوهين. "[2]

كما أنها ليست مقصورة على اليهود فقط إذ تشير الدراسات إلى أن الشتات قد ارتبط قديما بجماعات من التجار اليونانيين الذين أسسوا مجتمعات في البلدان التي استقروا فيها ومع أن الشتات قد تم بشكل طوعي إلى أنه يعني خروجا وتشتتا قد وقع بشكل قسري ولذا فهو منفي أو نفي قسري لا طوعي وإذا كان مفهوم الشتات إستمولوجيا يعني " مجموعة كبيرة من الناس يعيشون خارج وطنهم الأصلي."[3]

أي أنهم مجبرون على ترك وطنهم الأم والعيش والاستقرار في وطن غريب عليهم من كل النواحي إجباريا.

وكل هذا نتيجة لدوافع التي تتمثل في العبودية والاستعمار والتهجير والعامل الاقتصادي وغيرها من العوامل الأخرى.

---

[1] رمي أبو شهاب في الممر الأخير: سردية الشتات الفلسطيني (منظور ما بعد الكلونيالي)، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان – الأردن، 2017، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص57.

[3] المرجع نفسه، ص58.

يعد الشتات اليهودي الأبرز في تظليل مساحات من المفهوم في الوعي التاريخي العربي وكلمة اليهود تعد الريف المباشر لشتات خاصة الأدبيات الغربية كما تعد نموذجا كلاسيكيا لشتات " وفي السياق البحث لكلمة Diaspora ومنشئها وتاريخها، نجد أن جذورها تعود إلى اللغة اليونانية وتحديدا من الفعل (Speiro) وتعني نثر أو نشر (TO sow) ومن حرف الجر (Dia) وتعني (Over) أي في كل مكان أما في السياق الاصطلاحي للعلوم الإنسانية فإنها تشير إلى الهجرة والاستعمار."[1]

أي أن كلمة الشتات يعود أصولها ومنشئها إلى اللغة اليونانية والتي يشير معناها إلى النثر أو النشر عكس معناها الاصطلاحي التي تشير إلى الهجرة والاستعمار.

" إذن فمفهوم الشتات لم ينحرف كثيرا عن المعنى التاريخي وهذا من منظور الشعوب التي كانت من تبعاته وأثاره السلبية في العصر الحديث كالفلسطينيين والأرمن والأفارقة. "[2]

أي أن الشتات لم يتغير معناه التاريخي كثيرا عبر العصور بل بقي كما هو خاصة في نظر الشعوب التي كانت من ويلاته، فسابقا بات مفهوم الشتات يقتصر على الشعوب قليلة العدد ولكن حديثا فهي تشمل قطاعات واسعة في أنحاء العالم فقد غدا يتسع يوما بعد يوم.

2. الشتات من المنظور التاريخي:

يعد الشتات مظهرا وممارسة كونية قديمة خلقت مع الإنسان واختبرته جماعات بشرية وشعوب منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا فهو يمثل العمود الفقري لثقافة الإنسانية فرديا وجماعيا فالشتات عمق تاريخي عميق بالإنسان، إذ شهد آدم (عليه السلام)، أول تجربة حملت معها النفي والإبعاد عن الجنة نحو التشتت إلى الأرض بسبب خطيئة ويبقى هذا الفعل ماثلة إلى أن يرث الله الأرض إذ جاء في القرآن الكريم ﴿ وقلنا يا آدم أسكن أنت

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص58.
[2] المرجع نفسه، ص58.

وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا ترقبا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿35﴾ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴿36﴾.﴾[1]

في هذه السورة بين الله تعالى أنه أذن لآدم عليه السلام هو وزوجه العيش في الجنة والأكل كل ما طاب منها بشرط ألا يقتربوا من شجرة فيكونون من الظالمين فأغواهما الشيطان وأوقعهما في الخطيئة وسوس لهم حتى أكلا من الشجرة فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها، وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضا أي آدم وحواء والشيطان ولكم في الأرض استقرارا وإقامة وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء أجلكم.

فتجربة آدم عليه السلام تعد من أولى تدعيات الخروج والتشتت وأهمها العناء نتيجة الطرد فهي تعد من أشكال الصراع والعداء بين البشر على وجه المعمورة.

إن الطبيعة البشرية القائمة على الذاتية المفرطة والأنانية والطمع رفعت المسلك البشري على هذه الأرض بالتباغض والتقاتل ومحاولة نبذ الآخر فنشأت الشتات ترتبط بحدث هام فقد نفي الروماني " أوفيد" بعيد عن روما بكتابته نصوص لم ترق للسلطة آن ذاك بالإضافة إلى "داتي" الذي نفى هو الآخر وكذا هجرة المسلمين إلى الحبشة في بداية الدعوة ثم إلى المدينة المنورة وقد واجه الرسول ﷺ، أصحابه عدة عقبات معنوية ومادية جعلتهم مشتتين ومنفيين بكل أشكاله ومظاهره، فثمة أشكال ونماذج تطال تجربة النفي والتشتت باختلاف التجربة الإنسانية كما هو الحال في يومنا هذا فالشتات بما يحمله من تداعيات وأثار يحضر بالتوازي مع بروز فكرنا شيئا يبعد تأسيس الوعي الجديد والحاضر.

3. الشتات اليهودي: Jewsh Diasporo

[1] البقرة، 35.36.

" إلى اليوم ... أنا على استعداد والتطوع للقيام بأعمال قذرة لصالح إسرائيل حتى لو كرهنا الجميع، أسحب البساط من تحت أقدام اليهود في الشتات كي يأتوا لنا باكين طائعين ... حتى لو اضطررت إلى تفجير معبد أو معبدين من معابد اليهود هنا، أو هناك، لا يهمن الأمر."[1]

ومن هذه المقولة التي يقصد بها رئيس وزراء إسرائيل الأسبق "المجرم" أرئيل شارون أنه بكامل استعداداته من أجل محاربة الجميع وقيامه بأعمال قذرة وغير شرعية من أجل جمع شملهم ومنعهم من التشتت.

" ويشير الشتات اليهودي إلى تشتت الإسرائيليين أو اليهود خارج أرض أجدادهم (أرض الميعاد) أو استقرارهم لاحقا في أجزاء أخرى من العالم."[2]

ومن هذا التعريف نستنتج أن الإسرائيليين واليهود لا أرض لهم لاستقرار فيه ولا مأوى يأويهم فكانوا يعشون خارج أرض أجدادهم متفرقين في بقاع الأرض المعمورة وقد وقفت خطاب الشتات اليهودي التصور الذي يرى أن "الخطاب" ينبغي أن يتجاوز المستوى اللفظي (اللغوي) إلى كونه ممارسة فالخطاب اليهودي المرتبط بالشتات خرج بالكثير من الملحوظات التي تبين على فهم الأثر الذي أحدثه لاسيما في المراكز الحواضرية في العالم ومن المكونات التي دفعت خطاب الشتات اليهودي وتمكنه يرى " روبين كوهين" أن المسيحية لها دور في دعم الخطاب (تاريخيا) لاسيما المسيحية الأوروبية والأمريكية خاصة.

بعد العلاقة الموجودة بين التجوال اليهودي بالكتاب المقدس ويأتي كل هذا لجعل المعاناة اليهودية مرئية من أجل إثبات صحة المسيحية حيث قال روبين كوهين " إن التجوال اليهودي يعد شاهدا على حقيقة الكتاب المقدس."

فالصهيونية وأدبياتها لعبت دورا هاما في صوغ الشتات بل عملت على قصره على اليهود إلى درجة أن الشتات استمدت مفهومها من تقاليد التجربة اليهودية وهذا ما مكنهم من ترسيخ الشتات اليهودي في المكون الثقافي الغربي، فالخطاب اليهودي رؤية تاريخية ترى في المنفى والشتات نمطا تاريخيا فاليهود حالة قسرية متكررة

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص48.
[2] https://ar.m_wikipldia.org>wiki

حيث بدأ النفي من فلسطين ثم العودة إليها ثم النفي من مصر ثم العودة إلى فلسطين ثم النفي من بابل فالعودة إلى فلسطين مرة أخرى فلم يكن وجود اليهود في فلسطين قديما مرغوبا بل أكثر من حملة اعتراضية وهذا من وفد الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين.

فقد رسمت صورة واضحة للخطاب الصهيوني وربط الشتات (التجوال) اليهودي بأرض الميعاد فكلمة (إسرائيل) تمثل محور هاما في السياسة الأمريكية.

ففي فترة من تاريخ الحرب العالمية الثانية (1945.1939) شهدت قتل ملايين اليهود على أساس عرقي وهو ما يسمى بفترة الهولوكوست فقد عمد الحزب النازي الألماني بقيادة أدولف هتلر في تدبير عملية القتل فكان مستهدفه الأول اليهود ألا إنه قتل مجموعة أخرى من البشر لغجو وذو الإعاقة.

" كان الهولوكوست مثالا للإبادة الجماعية التي تعني قتل مجموعة كبيرة من البشر عادة بسبب انتمائهم لجنسية أو عرق أو دين معين."[1]

أي أنه الهولوكوست محرقة جماعية وإبادة الشعوب، راحت ضحية لعرقهم وجنسيتهم ودينهم.

" فالهولوكوست إسم يطلق على الإبادة الجماعية التي ارتكبها النازيون ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية."[2]

أي أنها محرقة لجماعات من البشر ارتكبها حزب النازي الألماني ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية.

فالهولوكوست يعود اسمها إلى عمل بشكل ممنهج من طرف الحكم النازي من أجل إبادة جميع اليهود في أوروبا بحيث ارتكبوا جرائم ضد اليهود حوالي سبعة ملايين يهودي خلال الحرب العالمية الثانية بالإضافة بعض البشر من العجز أو قتلهم بسبب العرق بالإضافة السياسيين والمثلين وأطلقوا عليهم اسم "المعادين للمجتمع" فقد أراد النازيون إبادة كل ما هو يهودي وإبادة جميع ثقافاتهم وعندما أصبح واضحا أن النازيين سيهزمون في الحرب

[1] https://www.bbc.com>arbic

[2] https://www.levandehistoria.se>nood

عمدوا على إخفاء جرائمهم والأدلة التي تدينهم، قاموا بتدمير المعسكرات وعندما لم يستطع النازيون إخفاء الأدلة على ما ارتكبوه من جرائم وإبادات جماعية في حق الشعوب حتى عرف العالم بالهولوكوست.

" نلاحظ أن أغلب الدراسات التي بحثت في الجماعات اليهودية نهضت على تعميق إحساس اليهودي بالنفي الدائم والأزلي بالتجاوز مع السعي لإنهاء هذه الحالة بالعودة إلى أرض الميعاد."[1]

أي أن الدراسات التي تبحث في الجماعات اليهودية رأت أن الشتات والنفي مرتبط ارتباطا دائم وحالته باليهود فالعودة إلى أرض الميعاد والتي في رأيهم الأرض المختارة والمرتبطة بالشعب تمكنهم من تجاوز هذه الحالة.

" وجد الشتات اليهودي لعدة قرون قبل سقوط الهيكل الثاني ولم يكن سكنهم في الدول الأخرى في معظمه نتيجة للتشرد القسري"[2]

يعني وجود اليهود في عدة دول نتيجة النفي والتشرد القسري ووجودهم كان في عدة قرون بعيدة.

ففي كتاب " معجزة جمع الشتات" لمؤله "الرابي ونيل بن نوث" يرى أن عملية جمع الشتات ليست فعلا بشريا وإنما هي فعل رباني بما أنه يدين مفاهيمه لمرجعيات توراتية.

" فاليهودية ودولة إسرائيل تعدان جزءا من التاريخ وتجسيدا لفكرة الخلاص التي تتطلب أن يقتل الشعب الفلسطيني ويشرد من أرضه."[3]

فقد عمدت على قتل الفلسطينيين وتشريدهم من أرضهم وسلب ممتلكاتهم والاستقرار فيها.

فدولة إسرائيل قد جاءت من أجل هدف واحد وهو جمع الشتات اليهودي في فلسطين واستمرارية جمع الشتات اليهودي في سياق مركزية إسرائيل " ولكي يستمد معجزة جمع الشتات اليهودي في سياق مركزية إسرائيل

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص49.
[2] https://ar.m.wikipdia.org
[3] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص50.

ويرى المؤلف أنه لا بد من وجود ترابط بنيوي بين ثلاثة عناصر وهي الإسرائيلية واليهودية وكلتاهما لا يمكن أن تستقيما إلا بوجود الصهيونية."[1]

ويعني هذا أن الإسرائيلية واليهودية والصهيونية عناصر مترابطة ومتكاملة فيما بينها فلا وجود لواحدة دون أخرى.

" فظهور الصهيونية قد حال دون تحقق اندماج اليهود الكامل في المجتمعات الأوروبية بغية تحقيق مشروع الصهيونية بإقامة وطن لليهود في فلسطين."[2]

يعني أن الصهيونية قد عمدت على جمع شمل اليهود من المجتمعات الأوروبية من أجل إقامة وطن لهم في فلسطين.

فقد رأى "أمنون راز كراكوتسكين" أن قيام دولة إسرائيل يمثل أول خطوات لتحقيق "نفي المنفى" فقد قام "أوري رام" بإدراج ما نعته بعملية التطبيع morm alization التي ظهرت بها "ما بعد الصهيونية" خاصة بعد تراجع الفكر القومي وتصاعد الصدام الغربي الإسلامي وبروز اتفاقية أوسلو وتمكن الدولة العبرية من إحداث تحول في خطابها كما شهد الأدب اليهودي تحولا في المدارس فقد تراجعت السرديات الخاصة بالشتات والتجوال اليهودي مقابل الخطاب الخاص بالهولوكيست فقد كان الشتات في الوعي جيو سياسية وتاريخية وأهم ما يجمع هذه الاستراتيجيات امتلاك الخطاب" وبالتالي فهو خطاب براغماتي يلجأ إلى توظيف الشتات تبعا لمقتضيات ومصلحة الصهيونية."[3]

يعني أنه خطاب ومذهب فلسفي اضطر إلى توظيف الشتات لمستلزمات ومنفعة تعود لصالح الصهيونية.

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص50.
[2] المرجع نفسه، ص51.
[3] المرجع نفسه، 52.

" فقد كان لليهود المثقفين دور في تمكين المشروع الصهيوني والإفادة من الشتات بوصفه ظاهرة تاريخية من خلال خلق نظام خطابي يتعلق بمنظومة الهوية التي تضررت جراء الشتات."[1]

أي أن لليهود المثقفين دور أساسي لعبوه من أجل المشروع الصهيوني من أجل الاستفادة من الشتات وهذا بخلقهم نظام خطابي يتماشى مع الهوية والهوية من أولويات عمل المثقف اليهودي فهو يمهد الأسس الفلسفية لبعث الهوية التي تشظت وتشتت ففكرة التأسيس للهوية اليهودية شأنها كثير من التحولات بفعل الثورة الفرنسية.

" فقد شرع المثقفون اليهود في بناء متخيل الهوية اليهودي الجديد من خلال تأسيس خطاب يعني الهوية اليهودية وتقاطعاتها في الغرب."[2]

أي أن اليهود المثقفون لعبوا دورا مهما في كسب هوية اليهودي الجديد من خلال الخطاب.

" لقد كان " كاليشير" أحد أهم رواد الحركة الصهيونية واعيا لأثر التوجه نحو الاتجاه العلماني باعتباره سبيلا لتحقيق أهداف عليا من أجل خدمة المشروع الصهيوني فقد دعا في وقت مبكر إلى إعادة فكرة الخلاص اليهودي من أجل تخليص اليهود من معاناتهم في أوروبا ولاسيما في أوروبا الشرقية."[3]

أي أن كاليشير اتجه نحو الاتجاه العلماني من أجل تحقيق خدمة المشروع الصهيوني وهذا لتخليص اليهود من معاناتهم ومأساتهم التي يعيشونها في أوروبا وخاصة أوروبا الشرقية.

" الصهيونية هي فكر إيديولوجي وطني سياسي يدعوا إلى إنشاء وطن قومي لمجموعة دينية اجتماعية هي الشعب اليهودي."[4]

أي أن الصهيونية بفكرها الإيديولوجي تدعوا إلى إقامة وطن لشعب اليهودي من أجل لم شملهم.

---

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، 52.

[2] المرجع نفسه، ص54.

[3] المرجع نفسه، 56.

[4] https// :interactive.alijazeera.com>aja

" تأسست الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر وسط تزايد العداء السامية في أوروبا واستطاعت الحركة تأمين الدعم لها من قبل الحكومات الأوروبية الغربية وخاصة بعد أن وافق الصهاينة على إنشاء وطنهم اليهودي على أرض عربية هي أرض فلسطين التاريخية.[1]

أي أن الحركة الصهيونية بفضل الدعم الذي تلقته من الحكومات الغربية استطاعت من إنشاء وطن لليهود في أرض عربية وعلى أرض فلسطين التاريخية.

فالحركة الصهيونية ساهمت بشكل كبير على تشجيع هجرة يهود أوروبا إلى فلسطين خلال النصف الأول من القرن العشرين فقد أعلن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ديفيد بن غوريون تأسيس دولة إسرائيل على أرض فلسطينية.

"لم تكن الصهيونية حركة استعمارية وحسب وإنما هي حركة إستطانية إحلالية (أرض بلا شعب) وهو ما يعني ضرورة أن تخلى الأرض التي سينفد فيها المشروع الصهيوني من السكان الأصليين ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال أقصى درجات العنف النظري والإرهاب الفعلي."[2]

أي أن الصهيونية هي استعمار وحركة إستطانية تعمل على سلب الأراضي من سكانها الأصليون من خلال استعمال العنف والقوة والفعل الإرهابي من أجل سلبها.

" فاستطاعت الحركة الصهيونية أن تحقق أهم إنجازين لها وهما وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود سمي دولة إسرائيل عام 1948م وذلك على أرض فلسطين وذلك عن طريق القتل والتهجير والمذابح لإبعاد الفلسطينيين عن أرضهم بالقوة."[3]

فقد كان وعد بلفور هو الذي مهد لنكبة فلسطين فالنكبة الفلسطينية بدأت قبل تأسيس إسرائيل بزمن طويل وفي مكان بعيد في فلسطين.

---

[1] https// :interactive.alijazeera.com>aja

[2] عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، دار الشروق، ط1، 2001، ص41.

[3] https://arom.wikipedia.org

فكانت فلسطين من أولى اهتمامات بريطانيا وهذا لعدة أسباب فيعتبر بلفور صاحب الوعد المشؤوم لهيكلة فكرة الوطني القومي لليهود ومجسدها السياسي إلا أنه ليس أول من ابتدعه فقد سبقه الكثيرون بأفكاره بما يسمى بالصهيونية المسيحية التي ساهمت في ظهور الأول للصهيونية الجديدة وأول من طرح فكرة تجمع اليهود في فلسطين هو "مارتين لوثر" ويعتبر "نابليون" من أوائل السياسيين الأوروبيين بإقامة دولة اليهود على أرض فلسطين فقد أعتبر وعد بلفور نقطة تحول مهمة للصراع العربي الصهيوني، إلا أنه لم يكن نقطة تحول تاريخية في السياسة البريطانية فقد كان لهذا الوعد أثرا طويلا وكثيرة في الدعم الشعبي للصهيونية في أواسط المجتمعات اليهودية في كل أرجاء العالم وقاد إلى قيام فلسطين الانتدابية وهو مصطلح يشير إلى إسرائيل والأراضي الفلسطينية فهذا الوعد كان من السبب الرئيسي الذي أدى إلى ما يسمى بالصراع العربي الإسرائيلي.

4. الشتات الفلسطيني النشأة والمفهوم:

تعتبر قضية اللاجئين الفلسطينيين محور في الصراع العربي الإسرائيلي لكونها تتصل بالإنسان فيزيائيا وثقافيا كما أنها تتصل بالجانب النفي الذاتي والجمعي على حد سواء ومعظم الدراسات تتجه للبحث في الجانب الإحصائي ومخلفات تجربة الشتات على البنية المجتمعية الفلسطينية من منظورات متعددة سياسية واجتماعية وثقافية ويتلازم مع مبدأ حق العودة وقضية اللاجئين فالشتات حاضر في العديد من الدراسات ولكن من منظور لم يتعد ليقف على حساسية الشتات بوصفها مشكلة ثقافية وجودية تتصل بالأنا الجمعية وهو ما يجعلها أقرب معضلة وجودية وهو ما يدخل في مفهوم الصدمة truma والتي تنقلنا إلى مجال نقدي ثقافي لقد نشأ هذا المجال في الدرس الثقافي في التسعينات من أجل البحث في أثار الحروب كما درس العلاقة بين الصدمة والمكان عبر فعل التذكر والنموذج المثالي في الدراسات خاصة بالهولوكوست إن مشكلة اللاجئين وقصة الخروج والنكبة والمقاومة والعودة التي نجدها في الأدبيات الفلسطينية والتي تمثل المأساة الفلسطيني، تتخذ أبعادا وتطورات جديدة بحيث تعيد تشكيل المنظور الذي تعاين من خلاله هذه التجربة وهذا ما يقودنا إلى تحولات الخطاب بجميع اختلاف مستوياته.

" هذا الفعل الخطابي من البحث والكتابة في الشتات وعن ... الشتات... لابد أن يتمظهر في خطاب discourse وما يحتم علينا البحث عن مدى توفر وجود خطاب خاص بالشتات العربي الفلسطيني في الحدود المعرفية (الاستمولوجيا) ولكن مع وعي يتجاوز المفهوم التقليدي القائم على تعريف الشتات."[1]

وفي هذا الإطار تستعيد خطاب الشتات اليهودي الذي يشكل قوة مؤثرة على أكثر من مستوى.

ومعظم الدراسات تتوجه للبحث في أوضاع اللاجئين وسياسيات منظمة التحرير الفلسطينية والصراع الفلسطيني الإسرائيلي كما ذكره كتاب "الشتات الفلسطيني" diaspora palestinian أما الخروج والنفي قد غاب عن معظم الدراسات الأكاديمية ومن هنا يجب أن نختبر صحة هذه المقولة من خلال بحث خطاب الشتات الفلسطيني خطابيا عبر الرواية وقيمها المتخيلة من حيث المفهوم والسمات.

فالخطاب عبارة عن أداء ترتبط ارتباطا وثيقا بالسلطة فهو ليس علامات أو نص فقط إنما هو فعل نسق أو إجراء تتوسط المجتمع كما أنه ممارسة اجتماعية تنهض على مستوى المعرفة والقدرة على التمثيل.

فإذا تجاوزنا البعد المفاهيمي للشتات الكلاسيكي باتضاح مظاهرها وعناصرها المعرفية فإن السعي وراء المستويات التي يحضر فيها الشتات الفلسطيني الذي يعد عنصرا ظاهرا فيعد من أكثر أشكال الشتات وضوحا وعنفا في التاريخ الحديث أو المعاصر فإذا كان مفهوم الشتات يشير بوجه أخص أو كلاسيكي إلى اليهودي فالشتات الفلسطيني أكثر واقعية لتجسيد هذا المفهوم ودلالاته المعاصرة.

يشير مركز الإحصاءات الفلسطيني أن عدد الفلسطينيين الذين يعيشون خارج فلسطين أكثر من تعداد الفلسطيني البالغ تعدادهم 11مليون نسمة كما تشير إحصائيات الأونزوا إلى 5.311.00 يتوزعون على الضفة الغربية وغزة ولبنان كل هذه الأرقام دفعت موسوعة الشتات إلى تخصيص فصل للشتات الفلسطيني بوصفه نموذجا للشتات الحديث فموسوعة الشتات ترى أن إسرائيل هي المسؤولة عن خلق الشتات الفلسطيني فإنكارها المستمر والممنهج نراه عبر الخطاب الإسرائيلي التاريخي.

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص75.

إن المسألة الفلسطينية تنبثق من مسعى إلغاء التكوين المرجعي بسائر أطيافه بحيث أن تواجدهم على أراضي الغير من باب الطارئ والمؤقت لعدم نيلهم حقوقهم في الدول المستضيفة أو لوقوع الإقصاء في حق الوجود الفلسطيني وهو نتاج بعض الأعمال الروائية التي تبين تنازعا بين الكيان الفلسطيني الذي يعمل على الحفاظ على هويته والهوية الوطنية.

فالشتات بمفهومه المعرفي والتاريخي فقد بقى خاضعا للتحولات المفاهيمية ففي سنة 1960 أصبح الشتات يشمل مجموعات بشرية كبيرة ولهذا أصبحت محورا في أدبيات الشتات منا الشتات الفلسطيني، الهندي والكوبي فالتجربة الفلسطينية استطاعت أن تتفرد تجربتها من حيث صوغ مفهوم الشتات وإضافة البنى المعرفية للممارسة والمفهوم وفي خزيران 1949 شهدت ولادة الشتات الفلسطيني وهو ما ذكره المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي " في ما يتعلق بدور إسرائيل في تشتيت الشعب الفلسطيني بواسطة خطة محكمة ممنهجة إضطلعت بها الصهيونية في سبيل التخلص من الفلسطينين وتحديدا قبيل انتهاء الإنتداب البريطاني."[1]

أي أن إسرائيل المسبب الرئيسي في تشتت الشعب الفلسطيني وتفرقته وهذا بفضل الصهاينة التي ساعدتهم من التخلص من الفلسطيني قبل انتهاء الانتداب البريطاني.

ويتبدى الشتات وتداعياته من خلال الخطاب فهذه التجربة تأخذ على عاتقه كل ما يحيط بها من أبعاد وعنف الواقع فتجربة الشتات تنبثق عميقا في الوعي الإنساني الجمعي فهي ممارسة لجماعة بشرية عاشت التجربة.

عند البحث في الخطاب الفلسطيني الخاص بالشتات يجب معرفة قدرة الفلسطيني على تشكيل الخطاب فهناك خطاب يبحث الشتات من منظور التجربة وهذا نعثر عليه في أدبيات السياسية أو منظمات أو الأفراد الذين يعنون بمشكلة الشتات واللاجئين ومن القضايا التي بحث فيها خطاب الشتات التوتر في العلاقات بين المركز والأطراف أو الهوامش وحيثيات الهوية الشتاتية التي باتت من أكثر المستويات مقاربة في الدراسات ما بعد الكولونيانية.

[1] رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، ص79.

لقد كانت دراسة ساري حنفي تبحث في مستويات الشتات الفلسطيني سيسيولوجيا وهذا باتساق مع دراسات الشتات عالميا من حيث البحث في علاقات اللاجئين والمشتتين بأوطانهم الأصلية ومن القضايا التي يمكن أن تدرس الكتابة الفلسطينية في الشتات رحلة التشتت والنفي والخروج ومصاعبها ومراراتها خاصة منذ الانتداب البريطاني فالنكبة زيادة على مشكلة الفلسطيني وتوزعهم في الدول المضيفة وما يرتبط بهذا الحضور من حقوق خاصة أوضاع الفلسطيني وتواجدهم في الدول المضيفة وما لازم ذلك من تعقيدات حول وجودهم خاصة في الدول الغير العربية.

وتبقى إشكالية اللاجئين مفتوحة على خيرات عدة خاصة حق العودة للفلسطيني وهذا الأمر يبدوا مفتوحا على المستقبل.

ينبغي لنا البحث في قضايا الشتات ومستوياته على وضع تصورات الشتات الفلسطيني ضمن مستويين الأفقي والرأسي، فالأول يمثل الصدمة الأولى التي تمثلت في نكبة 1948 حيث تفرق الفلسطينيون من الأراضي التي احتلتها إسرائيل سنة 1948 مما ساهم في تحول الشتات التي ظهرت على شكل مراحل ذات طبيعة سيكولوجية أو سلوكية تتمثل بالصدمة ثم النفي ثم ترقب لمحاولة العودة.

هناك شتات الفلسطيني هاجروا خلال حرب 1967 والذي يتمثل في مستويين الأول يتمثل في سكان الضفة الغربية الذين رحلوا خارج فلسطين والثاني سنة 1968.

فالهوية الفلسطينية يغمرها التعقيد الشديد أشبه بمشكلة حقيقية لإنسان الفلسطيني خلال مرحلة شتاته ومع أنه فقد أرضه إلا أن لعنة الهوية الملتبسة تلاحقه أينما حل وارتحل فإشكالية الهوية لدى الشتات الفلسطيني تعتبر مظهرا بارزا في الخطاب الفلسطيني فمفهومها العام ينطوي على أبعاد كثيرة فالصراع العربي الفلسطيني ينهض على الهوية رغبة من الفلسطيني في تصدي لكل من يريد تذويب هويتهم وتصفيتها فقد نجحوا في فرض هويتهم في نكبة 1948.

يناقش كتاب "الشتات الفلسطيني" the palestinian لهيلينا شولتز وجوليان هامر مفهوم الشتات من منطلق الهوية بوصفها تقع ضمن ثلاثة فئات وهي الهوية السياسية والثقافية والدينية لمنظور سولتز وجوليان هامر.

إن الشتات الفلسطيني من أشد أشكال الشتات تعقيدا وألما فالفلسطيني يعيش الشتات مرات عديدة فهي ترتحل في المكان والزمان لا تعرف الاستقرار كون الدول المضيفة لا تمثل الاستقرار والأمان مما يفرض على الفلسطيني الاستعداد لتهجير والبحث عن أوطان جديدة لذلك فالكتابة الفلسطينية تبدو معقدة أكثر من مستوى.

الفصل الثاني الجانب التطبيقي

المبحث الأول الذاكرة في رواية عائد إلى حيفا

1. ذاكرة الِشّخصيات في رواية "عائد إلى حيفا "

تعدّ الشّخصية من أهم مكوّنات النّص السّردي. حيث يعتبرها الدّارسون أساس بناء الرواية وسبب نجاحها. فالشخصية تلعب دورا كبيرا في بناء الرواية . فهي مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حول الأحداث.

ولقد قدم الكاتب الفلسطيني (غسان كنفاني). الشخصية المهانة والتي تعرضت للإدانة والظلم في روايته (عائد إلى حيفا) .شخصيته من المجتمع الفلسطيني التي لجأت إلى اختيار الانسحاب وعدم المواجهة بسبب نظرته السلبية للقضية الفلسطينية. والشخصيات في هذه الرواية من واقع قاسي فرضه الاحتلال الصهيوني على الفلسطيني.فكانت معظم شخصيات كنفاني واقعية.

وقد تنوعت شخصيات هذه الرواية بين رئيسية وثانوية، وأخرى فقط مساعدة في هذا العمل،كل شخصية حسب ذاكرتها وما عاشته من ظروف، وما مرت به من مواقف وحوادث في العالم الخارجي أو الدّاخلي فتعتمد على استرجاع ذاكرتها، وربطها بالحاضر حتّى تتمكّن من تنسيق الحوار داخل النّص وتسيير الأحداث والتّحرك ضمن فضاء زماني ومكاني.

2. ذاكرة الشّخصيات الرّئيسية :

ذاكرة الشّخصيات أو "الشّخصية البطلة التي يقوم عليها العمل الروائي"[1] ، وهي ذاكرة ما أراد الروائي تصويره و التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، حيث تتمتع بالاستقلالية والحرية في الحركة. والشّخصيات التي قامت بهذا الدور و تميّزت به الذاكرة في روايتنا :

أ) **سعيد** : بطل الرواية و ربّ لأسرة ، مكوّنة من الزوجة صفية و البنت الصّغرى خالدة و خالد و خلدون . سعيد أول شخصية استهلت بها الرواية تتطور بتطور الأحداث ، " و حين وصل سعيد إلى مشارف

[1] شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، اتّحاد الكتّاب العرب للنشر ، 1998 ، ص.35.

حيفا قادما إليها بسيارته عن طريق القدس أحسّ أنّ شيئا ما ربط لسانه ، فالتزم الصمت "[1] ؛ يتضح من خلال هذا أنّ سعيد انتابه شعور بالأسى و بعض الخوف ، و هنا كانت بداية حالته النفسية المزرية بسبب تأنيب الضّمير حين ترك ابنه (خلدون) رضيعا ، و لم يستطع إنقاذه آنذاك . فحين دخل إلى حيفا اختلطت عليه بين الدخول و بين العودة من حيث أتى ، بدأ باسترجاع ذاكرته في وهلة واحدة كما سبق و أن قيل : " لم تعد إليه الذّاكرة شيئا فشيئا ، بل انهالت في داخل رأسه "[2] ، كان تحت تأثير الصّدمة و النّدم في آن واحد بعد استذكاره الأحداث ، فأخذ الشّك يراوده بعد تجربة مؤلمة تنعكس عليه عند وصوله حيفا ، كان خائفا أن يتذكّر ابنه الّذي غادره منذ عشرين عام و بلده الذي لم يتمكّن الدفاع عنه. من خلال رصد حركات سعيد ، فإنّنا نعاين التوتر النّفسي و الاجتماعي و الفكري ، ففي عبارة " أحسّ المقود ثقيلا بين قبضتيه اللّتين أخذتا تتضحان العرق لأكثر من ذي قبل " [3] ، يؤكّد أنّ صورة سعيد مبنية على معطى نفسي ، لإظهار مدى القلق و التوتر الذي يتخبط فيه الواقع الفلسطيني عامة .

بدأت تختلط عليه الأمور ، لان الماضي بدأ بالاندفاع و الانبثاق بعد محاولة نسيان دامت عشرون سنة ، لاحقه شغف البحث عن بلده الضائع ، وابنه الذي هو سبب عودته فتنهمل عليه الذكريات و تشغله في كل خطوة يخطوها ، و في كل شيء يراه كأن التاريخ يعيد نفسه ، (بداية القصف و القتال...) ، و يوضح الروائي أن سعيد مندهش و مرتطم و متردد مما سوف يراه أو يسمعه ! و هل يمكنه تحمل الاتّهامات التي ستوجّه له ؟! أحداث روايتنا كثيرة ن فلا يمكن التوقف و تحليل كل شاردة و واردة بحكم أن كل كلمة أو عبارة لها شفرة و بعدا روائيا. وفي حديث سعيد مع ميريام ، كان يائسا و مصاب بالذهول فهي كانت تلمح له و كأنّ خلدون مات ، كما في النص الآتي " ليكن خلدون ميتا، أو حيّا ، لا فرق فحين تصل الأمور إلى هنا، فليس ثمّة ما يمكن أن

[1] غسّان كنفاني ، عائد إلى حيفا ، دار منشورات الرمال ، ط1 ، قبرص ، 31 ديسمبر 2015 ، (أول إصدار 1969) ،ص.
[2] المصدر نفسه، ص.5.
[3] المصدر نفسه، ص.7.

يقال "[1] ؛ أحسّ بيأس و خيبة أمل و حزن شديد ، خاصة لما أدرك أنّ على خلدون الاختيار بين والديه الحقيقيين و بين الأبوين اليهوديين ، كما أدرك استحالة عودة ابنه إلى حضنه و أنّه سيرفضه حتما ، و بقول كأنّه لا إرادي : " ...أيّ خلدون ؟ أيّ لحم ودمّ تتحدّثين عنهما (...) إنّ خلدون ، أو دوف أو الشّيطان إن شئت ، لا يعرفنا ! أتريدين رأيي ؟ لنخرج من هنا و لنعد إلى الماضي " [2] .

من ناحية أخرى، سعيد هو شخصية واعية بما يحدث حوله، مثلا عندما أدرك نية إسرائيل الخبيثة، عند فتح بوابة مند لبوم، و شرح ذلك لزوجته قائلا: "...إنّهم يقولونا لنا تفضلوا ، أنظروا كيف أنّنا أحسن منكم و أكثر رقيّا عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدما لنا ،معجبين بنا..."[3] ، إذا هو يمتلك موقفا حضاريا عاما ، وكذلك مستواه اللّغوي جيد أين ظهر ذلك في حواره مع ميريام ، " فأخذ سعيد يترجم إلى الإنجليزية "[4] . احتوى شخصية أخرى تفاؤلية بعد محاورة دوف ، الّذي نجم أن يغير وجهة نظر أبيه حول الكثير من المسائل ، فاكتسب وضوحا كبيرا و إدراكا مختلفا ، و عبر عن هذا بطرح استفهامي لابنه " و أنت ، أتعتقد أنّنا سنظلّ نخطئ ؟ "[5] ، حفّزه ذلك على اتّخاذ موقفا حاسما من ابنه لما تيقن أنّ الإنسان لا علاقة له بصلة الدّم و أنّه قضية ، أحسّ بندم العشرين سنة ، فقد أتوا ليسترجعوا خلدون لكن و للأسف عثروا على دوف . إذا ، شخصية سعيد تتجسد فيها ملامح مكتظّة برصيد التّاريخ و المكان ، فترجم بذلك ذاكرة روائية عربية مضطربة ، رغم تأثرها بذكريات الماضي المعبّأة بالنّدم و الحسرة و لوم الذّات إلّا أنه عزم على بذل الجهد في المطالبة بحقوقه و التخلي عن ذكرياته واكتساب أخرى جديدة بالانضمام إلى حركة المقاومة.

---

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص 33 .34.

[2] المصدر نفسه، ص. 49.

[3] المصدر نفسه، ص . 18 .

[4] المصدر نفسه ، ص. 27 .

[5] المصدر نفسه ، ص.76.

ب) صفية :

فلسطينية ، التقطها الكاتب من المحيط الفلسطيني تحمل ذاكرة مصدومة لضياع ابنها خلدون ، أثناء نكبة 1948 ظهرت في أحداث هذه الرواية من البداية إلى النهاية ،لكن في شخصية ضعيفة و متحمسة في نفس الوقت ، تحمل حرقة في قلبها منذ أن تركت رضيعها ، و طوال عشرين سنة كانت تحمّل نفسها المسؤولية و العبء الثقيل فلما وصلت حيفا ، راودها الشعور نفسه ، كانت تبكي بصمت ، و تمثّل ذلك في مخيلتها و تصوراتها ، فيقول الكاتب : " سمع صوتها الخافت يبكي بما يشبه الصّمت ، و قدر لنفسه العذاب الّذي تعانيه "[1] ، فكل نظرة تنبعث منها الأسى و الحزن ، " هي التي ارتكبت هذه الفجيعة التي شجرت في قلبيهما معا..."[2] ، فهي السبب فيما حصل ، إلا أن (خلدون) لم يغادر ذاكرتها قط ، عاشت صغرها دائمة الحزن و ذلك باد من نبرة صوتها الرقيقة ، مثل : " أخذت تبكي ، و تجفف دموعها (...) دون أن تعرف أنّها لحظة مروعة"[3] ، فحلمها كان مبني على ابنها متأملة أنّه سيرتمي في أحضانها ، لكن للأسف الشّديد ذلك لم يحصل بل تعرضت للوم و إحراج من دوف لما سألها : " كيف يستطيع الأب و الأم أن يتركا ابنهما و هو في شهره الخامس و يهربان "[4] ، حتّى ولو أنّ ذلك لم يكن برغبتها ، لكن تساؤله منطقي و في محله ، فأيّ أبوين يتخليّان عن ولدهما في تلك الظروف ؟! وما زاد الطين بله ! حين أنكرها و اعترف ولو كذبا أن أمه يهودية فقال لها ، " السيدة هي أمي،"[5] بكل وضوح و أريحية ، أصابتها خيبة أمل بعد أن كانت تتأمل استرجاعه ، لكن يا أسفاه ! و يا حسرتاه ! ويا ربت الزمان يعود أدراجه لتصحح هذه الغلطة، فذاكرة صفية هي ذاكرة النّدم و الحسرة، أعطت هذه الشخصية بعدا رمزيا تاريخيا، فكان من المفترض أن تتشبث بأرض الوطن (فلسطين) نحو تشبثها بابنها.

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص.9،10.
[2] المصدر نفسه، ص.22.
[3] المصدر نفسه، ص.72،73.
[4] المصدر نفسه، ص.68.
[5] المصدر نفسه ، ص.69.

أليست فلسطين أما !!

ج) خلدون / دوف : :

ثالث شخصية رئيسية داخل الرواية ، يكون ابن صفية و سعيد بيولوجيا ، و ابن ميريام و افرات كوشين اليهوديين بالتبني ، و ضابط في الجيش الإسرائيلي ، شخصية قوية ، كان ضحية ترك والديه له و هو رضيع ذو خمسة أشهر ، كما أنه لا يملك أدنى بصمة عن والديه . تشكلت شخصيته و تكوّن فكره و سلوكه وفق الإطار التربوي لعائلته المتبنية ، فيقول : " منذ صغري و أنا يهودي ، أذهب إلى الكنيسة و آكل الكوشير و أدرس العبرية" [1] ، يريد إقناعهما أن لا شيء يدل على عروبته ، فبعد ذلك الحوار بينهم أصبح عقله مشوشا و أفكاره متداخلة ، و كأنه فقد الثقة بالنفس ، فانهال عليهم بجمع من الأسئلة : "...كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلا رضيعا في السرير و إذا كان هذا أيضا مستحيلا ، فقد كان عليكم ألا تكفوا عن محاولة العودة (...)أيوجد سببا أكثر قوة "[2] ، فبهذه النظرة و الأسلوب يوضح لهم أنه لا أمل بقبولهم في حياته ن فهو يرفضهم تماما دون أن يعذرهم ، فقد تطرف قليلا و تصرف بأنانية ، ولا يريد استيعاب أن ذلك كان فعلا لا إراديا و يظهر ذلك في التالي : " ...مرة تقولون أن أخطاءنا تبرر أخطاءكم، و مرة تقولون أن الظلم لا يصحح بظلم آخر..."[3] ، و بسبب هجران أبويه له أصبح عدوا للقضية الفلسطينية بدلا أن يكون ندّا لها.تحول إلى إنسان مناقض ، و غدت ذاكرته أنانية و تشاؤمية أو يمكن القول ذاكرة صدمة ، فعقله لم يستطع تقبل الأمر الواقع فهو الآخر حالة من حالات نكبة 1948م ،فشخصية دوف / خلدون ؛ شخصية باسمين مختلفين و هويتان تتصارعان بداخله.

3. ذاكرة الشخصيات الثانوية :

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا ، ص.67

[2] المصدر نفسه ، ص.73،74.

[3] المصدر نفسه، ص.75.

هي الشخصيات التي "تشارك في نمو الحدث القصصي و بلورة معناه للإسهام في تصوير الحدث، و يلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية "[1] .

السيدة ميريام :

هي تلك العجوز السمينة بعض الشيء و القصيرة ، أم دوف (خلدون) بالتبني ، يهودية الأصل تتحدث اللغة الإنجليزية ، ذات شخصية ضعيفة ، ذاكرتها هي الأخرى مكتظّة بالحزن لفقدانها والدها و مقتل أخيها ، أرادت الرحيل لكن لم تتمكن من ذلك ، و " كانت دائما تخسر النقاش بسرعة "[2] ؛ من خلال هذه العبارة يتضح أنها لا تستطيع التعبير عن رأيها ، و كانت ترفض البقاء في حيفا كرد فعل للظلم المسلط خاصة حين تستذكر ما حصل لأخيها و للطفل الفلسطيني " كان طفلا عربيا ميّتا ، و قد رأيته مكسوا بالدم "[3] ، و خلدون هو سبب بقائها ، كما اقترحت تخييره بين الأسرتين حين أتى والداه لاستعادته فخاطبتهم قائلة : "...لندعه يقرر بنفسه ، لندعه يختار(...) هو وحده صاحب الحق في أن يختار... "[4] ، فقد بدأ عقلها يتشتت ، كلما استرددت الماضي شعرت بالخوف من أن تفقد دوف مثلما فقدت أبوها و أخوها ، لذلك اقترحت عليهم فكرة الاختيار و ذلك جزء من الخبث الإسرائيلي لا محال ؛ لم تنظر إلى دوف و والديه من منظور إنساني ، فلو كان كذلك لما طرحت تلك الفكرة مطمئنة بأ نتكون هي الخيار .

فارس اللبدة :

[1] شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، اتّحاد الكتّاب العرب للنشر ، 1998 ، ص.35.
[2] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص.44.
[3] المصدر نفسه، ص.42 ، 43.
4 المصدر نفسه، ص. 48.

جار السيد سعيد في رام الله و هو من يافا ، لقد عاد إلى بيته و وجد مستوطنين جدد ، فثار غضبه و سيطر عليه الحزن قائلا له : " جئت ألقي نظرة على بيتي ، هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا (...) انتظرت عشرين سنة لأعود إليه..."[1] ، فهنا يتضح أن فارس جدّ متشبث بالأرض ، و أن فلسطين أو يافا بصفة خاصة لم تغادر ذاكرته ، بل بقيت فيها طوال تلك السنين ، سرعان ما تغيرت نظرته إلى الرجل بعد معرفته أنه كان مقاتلا عربيا . بكى عندما وجد صورة شقيقه بدر مازالت في مكانها " فأخذت الدموع تكر على وجنتي فارس و هو واقف هناك " [2]. استرجع صورة أخيه (بدر)، صحيح أنها ذكرى جميلة منه و كأنه على تواصل معه ، إلا أن ذلك لا يغيّر شيئا من الواقع ، لذا قرّر الإيمان بالقضية الفلسطينيّة و التّضحية من أجلها ، و التفاعل معها فذهب يواصل ما تركه أخوه في الخلف ؛ "إنه يحمل السلاح الآن !"[3] . رغم ما عاشه خلال تلك العشرين سنة ، تبقى ذاكرته أقرب إلى الحقيقة و لو أنها ماضية لكنها تبقى مثالا حيا .

بدر اللبدة :

هو أخو فارس ، أول من حمل السّلاح بمنطقة العجمي في وجه العدو ، "...و انخرط بدر في القتال ، كأنه ينتظر ذلك اليوم منذ طفولته "[4] ، يتبين و كأنه حقق ما كان في ذاكرته الطفيلية المتمثّلة في الكفاح و الاستشهاد من أجل الاستقلال و حب الوطن و استرجاعه . و استشهد في السادس من نيسان عام 1948م ، و إن حقق حلم من أحلامه ، لكن مازال الكثير المختصر في استرجاع فلسطين و سيادتها .

الرجل العربي:

1 غسان كنفاني ، عائد إلى حيفا ، ص.53.
[2] المصدر نفسه، ص.54،55.
[3] المصدر نفسه، ص .60.
[4] المصدر نفسه، ص . 55.

هو من يافا ومن سكان المنشية ، أنهدم بيته في الحرب و كان قد التحق بصفوف المقاتلين ، و اعتقل بعدها فسكن في بيت فارس بعد إطلاق سراحه . لديه طفلان سعد و بدر على اسم الشّهيد (بدر اللبدة) ، بحكم أنه و بدر يشتركان في هدف واحد فقال : "...يذكّرني بأمور أعتز بها و أعتبرها أروع ما في حياتنا "[1] ، فحين ينظر إلى تلك الصّورة يستذكر كل ذكريات الحرب و القتال...و الّتي لم تفارق تفكيره أبدا.

تمثّلت شخصيته بالثبات و القوة ، حيث صمد في وجه العدوّ ولم يغادر يافا ، و كانت تلك الصورة سببا في بقائه لم يرد أن ينسى ذكرياته و لو أنها مأساوية .

افرات كوشين :

هو زوج ميريام ، و أبو دوف بالتبني ، تحصل على بيت في حيفا بأمر من الوكالة اليهودية كامتياز ، و" أعطته مع البيت طفلا عمره خمسة شهور"[2] ؛ هو دوف كأنه حلم و تحقق بعد أن فقد الأمل بزوجته لأنّها لا تنجب ، فاعتبر ذلك هبة ربّانية .

تميّزت هذه الشخصية بالحظوظ .

تورا زونشتاين :

امرأة تسكن في الطابق الثالث من البناية التي يسكن فيها سعيد ، أنقذت خلدون من الموت جوعا حيث " اضطرت إلى تحطيم الباب و كان الطفل منهمكا تماما ، فحملته إلى بيتها "[3] ، ظنا أنّ والديه سيعودان قريبا لكن دون جدوى ، فلجأت به إلى الحكومة اليهودية لحل المشكلة .تميّزت هذه الشخصية بروح المسؤولية و الجرأة.

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا ، ص.58.
[2] المصدر نفسه ، ص.44.
[3] المصدر نفسه، ص.45.

4. الشّخصيات المساعدة (فرعية) :

الرّجل ذو وجه يشبه الدّجاجة : يهودي موظف في الوكالة اليهودية ، ساعد الأسرة اليهودية في الحصول على (دوف) ،و ذلك بإبرام صفقة مع افرات ، فلا يتحصّل على البيت حتى يقبل بالتبنّي .

خالد و خالدة :

خالد هو الابن الثاني لسعيد ، الّذي أراد الالتحاق بصفوف الفدائيين ، لكن أباه عارضه أما خالدة فهي الطفلة الثّالثة.

الكولونيل موشيه كارماتيل :

هو الّذي قاد ثلاث كتائب لاجتياح مدينة "حيفا" .

البريجادير ستوكويل:

بريطاني سرّب موعد انسحاب القوات البريطانية إلى الهاغانا ، حتى تسيطر على حيفا .

حوصلة:

تعدّ الشخصيات عنصرا أساسيا في تشكيل الخطاب السردي عامة والروائي خاصة، ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث، تبنى على أبعاد مختلفة تتطور بتطور مواقف النص الروائي، يوظفها الكاتب قصد تصوير وجهة نظر معينة ، فتخلق أجواء و متعة داخل المحتوى. لكل شخصية مكانتها و تختلف حسب الأدوار، و يشكل الواقع المصدر الأكبر في التقاط الشخصيات الروائية، بحيث تكون متناسبة تناسبا منطقيا مع أحداث الرواية.

صحيح أن شخصيات الرواية تحاكي الواقع ، إلا أن ذلك نسبي و محدود ؛ فلا وجود لها إلا إذا كانت ضمن إطار زمني و مكاني ، فالزمن هو الّذي يضبط الأحداث و المكان هو الحيّز الّذي تجري فيه ، و يمكن القول أنهما جوهر العمل الروائي ، فعلاقة الزّمكانية بالشخصيات علاقة متبادلة و ضرورية ، و استجابة الرواية لها حالة افتراضية لا اعتباطية .

وهذا ما تطرقنا إليه في هذا الجزء من التطبيق ، فقد لعب المكان و الزمن و الشخصيات دورا وظيفيا في الرواية الفلسطينية (عائد إلى حيفا)، وشغلوا حيّزا بارزا فيها، واتّخذوا معاني ورموز متنوعة ارتبطت بمراحل الصراع الصهيوني الإسرائيلي، كانت بعض الأحداث تجري في أرض فلسطين في المدة الزمنية الممتدة من 1948م إلى 1967م، والبعض الآخر يجري خارجا أو ما يسمى الشّتات، معتمدا في ذلك على الذّاكرة الماضية السّائدة في المجتمع الفلسطيني .

لمحة فنية : رواية " عائد إلى حيفا "، هي رواية واقعية جسدت معاناة الشعب الفلسطيني وحبّ العودة، حيث تطرح هذه الرواية صورا للقهر الإنساني الداخلي والخارجي، تسرد مسارا تاريخيا للشخصية الفلسطينية التي تعجز البحث عن أرض وطنها وسط الشّتات واللّجوء، والواضح في الرواية أنها حاولت ربط الإنسان بقضيته. وتطلعنا على حمولة فكرية ودلالية بمرجع سوسيوتاريخي، ترتبط بالإنسان ومدى علاقته بالأرض.

ومازالت عبقرية المبدعين تبتكر أنواعا ومضامين جديدة، تساير ارتقاء الحياة والحضارة، وما تزال "عائد إلى حيفا" مثالا حيا للأوضاع القاسية في فلسطين، ترجمت إلى عدّة أعمال فنية، تصدّرت على شكل فيلم تحت

"عنوان (المتبقي)، للمخرج "سيف الله داد"[1]، ومن الفيلم إلى مسلسل يحمل العنوان ذاته (عائد إلى حيفا)، للمخرج "باسل الخطيب"[2] .

تم طرح هذه الرواية تليفزيونيا، للفت الانتباه إلى القضية الفلسطينية، والنظر في الظّروف الّتي تعيشها الدولة الفلسطينية.

[1] سلوى قجالي، مجلة العلوم الإنسانية، رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني بين النظرة الروائية والطرح الفيلمي، م30، عدد3، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة-الجزائر، ديسمبر،2019، ص.778.

[2] المرجع نفسه، ص.779.

المبحث الثاني الدراسة السردية لرواية عائد من حيفا

1. دراسة العنوان:

احتل العنوان مكانة متميزة في الأعمال الأدبية الإبداعية والدراسات النقدية المعاصرة نظرا لموقعه الاستراتيجي في كونه مدخلا أساسيا لقراءة العمل الأدبي وبالتالي يعتبر العنوان علامة مستفزة للقارئ بحيث تجذبه وتثير فضوله لفتح النص والدخول فيه فالعنوان عبارة عن قطعة لغوية قد تكون أقل من جملة مليئة بالدلالات ومعبأة بمختلف المميزات فالدراسات الحديثة جعلت العنوان من أبرز اهتماماتها فأصبح ضرورة ملحة ومطلبا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه عكس الدراسات القديمة التي لم تعط أهمية كبيرة للعنوان.

فجيرار جنيت " يعتبر العنوان عتبة ذات سياقات ودلالات ووظائف لا تنفصل عن بنية العمل الفني."[1]

يعتبر العنوان المدخل الرئيسي ومنه تنطلق الرغبة للقراءة ويحتل مكانة هامة من صفحة الغلاف وهي وسيلة لتشويق القارئ أو السامع.

" فهو دلالة ذات طاقات مكتنزة ومدخل أولى لابد منه لقراءة النص."[2]

وعادة ما يوحي العنوان إلى ما لا يقوله النص وما يخفيه من دلالات ليصبح العنوان بذلك " حمولة مكثفة للمضامين الأساسية لنص وهو وجه النص مصغرا على صفحة الغلاف."[3]

قارئ هذه الرواية "عائد إلى حيفا" لروائي الفلسطيني غسان كنفاني نلاحظ أن العنوان أعطى صورة مباشرة لمضمون الرواية وما تحتويه من أحداث وشخصيات فقد خلق نوعا من التناسق والانسجام بين العنوان والموضوع واعتمد على عنوان واضح ومباشر لمضمون الرواية.

فمصطلح العودة له علاقة بالقضية الفلسطينية لما تمثله من فكرة العودة من حلم يحمله فلسطينيون الشتات بعد ما فقدوا ارتباطهم الفزيائي المباشر بالوطن وتفرقوا في بقاع الأرض مجبرين على ترك أرضهم ووطنهم

[1] الكبير الداداسي، تحليل الخطاب السردي والمسرحي، ط1،2014، دار الرواية للنشر والتوزيع، عمان، ص21.
[2] علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص173.
[3] جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، العدد3، 1997، ص96.

كما أن العودة بمفهومها العام لا يقتصر على القضية الفلسطينية فقط بل يندرج في دراسات ما بعد الكولونيالية بشكل عام.

أما مصطلح حيفا فيشير إلى إحدى أهم المدن التاريخية في فلسطين فقد احتلتها المنظمات اليهودية بعد عدة معارك ومجازر نتج عنها طرد جماعي لمعظم السكان في أحيائهم ومن هنا يمكن القول بأن عنوان رواية غسان كنفاني "عائد إلى حيفا" تأخذ أبعادا مختلفة لعودة الزوجين سعيد وصفية إلى منزلهما في حيفا بعد نكسة 1967 للبحث عن ابنهم خلدون وبعد ذلك يجد الزوجين بينتهما وابنهما أي الأشياء التي تعني لهم الوطن.

لذا يمكن وصف هذه الرواية بأنها حيز ما بعد استعماري ويعد تمثيل التجربة عن طريق الكتابة صراعا مستمرا مع اللغة بحيث يمكن أن نلخص تجربة الصدمة وسلب الأرض.

ففي هذه الرواية الزوجان يرون أن المدينة لا زالت موجودة كما يحفظها سعيد ولكن ذاكرة المدينة شوهت بتغير السكان وأسماء الشوارع فيقول سعيد "هذه حيفا إذن بعد عشرين سنة .... أنت لا ترينها إنهم يرونها لك."[1]

فهناك علاقة وطيدة بين العنوان والنص إلا أن الأمر يختلف من عنوان إلى آخر حسب طبيعة العنوان المطروح بهدف استفزاز وجذب المتلقي وإلى القراءة بدءا بالعنوان.

فالرواية تصبح مساحة لمعالم جديدة للذاكرة فالماضي يتمثل بخلدون الذي تهود والحاضر والمستقبل الذي يكمن في ابنهما خالد الذي يمثل المقاومة التي يحتاجها الفلسطينيون اليوم ولهذا تكون رواية كنفاني سجلت ذاكرة الشعب الفلسطيني عن طريق الزوجين سعيد وصفية الذين عادوا إلى الوطن بعد عشرين عام.

فعليه فعنوان الرواية يعبر فعلا عن المحتوى لتمكنه من دفع القارئ للقراءة وتشويقه لاطلاع على أحداث الرواية واكتشافها بدلا من الإفصاح عن المضمون فمن خلاله نستطيع الولوج إلى المتن الروائي بكل سهولة وبساطة.

2. الزمان والمكان:

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، منشورات الرمال، قبرص، ط1، 2013، ص8.6.

1.2. الزمان:

لزمن أثر كبير في الفنون الأدبية لأن الزمن الأدبي هو زمن إنساني وزمن التجارب وزمن الحالة الشعورية التي تلازم المبدع والزمن هو المكون الأساسي في الرواية بحيث يربط بين الأحداث والشخصيات فيتطور الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل كما يمكن أن نقول أن هناك استرجاع واستباق للأحداث.

الاسترجاع: هو استرجاع الكاتب لذكريات لزمن عدى واستذكار أحداث وقعت في الماضي.

فنجد أن هذه الرواية كلها استرجاع لأحداث مضت في حياة الزوجين سعيد وصفية منذ نكسة حيفا والتي مر عليها عشرين عام فيسرد لنا هذه الأحداث من نكبة حيفا والخروج منها إلى عودتهم بالتفصيل.

ومن أمثلة الاسترجاع " طوال الطريق يتكلم يتكلم ويتكلم تحدث إلى زوجته عن كل شيء عن الحرب والهزيمة وعن بورية مندليوم التي هدمتها الجرارات ...."[1]، "وعن وقف إطلاق النار، والراديو ونهب الجنود لأشياء والأثاث ...."[2] ولازلت أمثلة كثيرة بحيث استخدم السارد الفعل الماضي الناقص لسرد الأحداث الماضية فكل الرواية مبنية على هذا الفعل فالاسترجاع هو الزمن الذي بنيت عليه رواية "عائد إلى حيفا"

الاستباق: هو توقع حدوث أشياء في المستقبل فهي بمثابة ديباجة لأحداث خفية.

فالاسترجاع هو العودة إلى الماضي أما الاستباق فهو عكس ذلك فهو نظرة إلى المستقبل " وهو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر للحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد."[3]

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص6.

[2] المصدر نفسه، ص6.

[3] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة بيروت لبنان، ط1، 2002، ص15.

ومن الأمثلة عن الاستباق في الرواية نجد "ذلك خيار عادل ... وأنا واثقة أن خلدون سيختار والديه الحقيقين ...."[1]، " هذا المكان الذي سكنه هو يبني أنا ووجودك فيه مهزلة محزنة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح ...."[2].

" ولكنه بيتي وقد انتظرت عشرين سنة لأعود إليه ..."[3]

" أرجو أن يكون خالد قد ذهب ... أثناء غيابنا."[4]

2.2. المكان:

لقد اعتمد الكاتب "غسان كنفاني" في روايته عائد إلى حيفا على أمكنة مختلفة بنى عليها روايته فلقد اختلفت الأحداث باختلاف الأمكنة والأزمنة فيها وتصنف الأمكنة إلى صنفين أمكنة مغلوقة وأمكنة مفتوحة كما نطلق على هذه الأمكنة أسماء أخرى كالحيز أو الفضاء كما قال مُحَمَّد التونجي " وما تجدر الإشارة إليه هو تعدد المصطلحات المعبرة عن معنى المكان، فهناك من عمد على تسميته الحيز الذي اعتمدها مرتاض في حيث أن البعد الآخر أطلق عليه تسمية الفضاء وفضل بعضهم الآخر أن يطلق عليه مصطلح الفراغ وكذا تسميات أخرى مثل "الجغرافيا الروائية."[5]

الأماكن المغلقة:

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص49.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] المصدر نفسه، ص52.

[4] المصدر نفسه، ص79.

[5] مُحَمَّد التونجي، المعجم المفضل في اللغة العربية والأدب، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص 287.279.

البيت: بيت سعيد في حيفا بحيث يعتبر منبر الأحداث في الرواية فقد حضر بقوة فيها فهذا البيت يقع في الطابق الثاني من البناية فكان يعتبره سعيد المكان الأكثر أمانا وراحتا فيه، فكان بيت سعيد بسيط إلا أنه لديه مكان خاص عاش فيها ذكرياته " ذلك الذي عاش فيه ثم عيشه في ذاكرته طويلا... "[1]

وأول شيء شد انتباه سعيد أثناء عودته ورأيت بيته أنه بدا له أصغر قليلا مما تصوره وأكثر طوبة واستطاع أن يرى أشياء كثيرة اعتبرها ذات يوم وما تزال أشياؤه الحميمة الخاصة التي تصورها دائما ملكية غامضة مقدسة ...."[2]

فبدأ في تأمله في الأشياء التي تركها في المنزل بقيت كما هي لم يطرأ عليها أي تغير وجد تلك العائلة الغريبة يستعملون أغراضه بعدما أخذوا منزله بالقوة وظلم يرى عدوه يتمتع بأشيائه فحين يعاني هو من التشرد والحرمان حيث وصف الكاتب للبيت لم يقتصر على تقديم صورة له فقط بل استظهر بعض التغيرات التي طرأت عليه استبدال المزهرية الزجاجية بأخرى مصنوعة من الخشب.

تكومت أعواد من ريش الطاوس فقد تركها سبعة أعواد فعدها فوجدها خمسة أما الطاولة في الوسط استبدلت بستائر ذات خطوط زرقاء وهذا ما يرمز للعلم الإسرائيلي وهذا يعني أن العائلة اليهودية استحوذت على البيت وصار ملكا لهم.

نزل المهاجرين:

يعتبر نزل المهاجرين بناية مزدحمة بالسكان نزلت بهم رياح اليهودية وزوجها أفوات كوشن فبل أن يسكنا في بيت سعيد وقد سكنا في غرفة المهاجرين الهاربين من الاضطهاد من طرف الألمان كانوا يلتقون لتناول العشاء "وربما كان قد نظر عدة مرات من شرفته إلى الحليصة إلا أنه لم يكن يعرف على الإطلاق أو حتى يخمن أنه سيجري إسكانه هناك ..."[3]

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص26.
[2] المصدر نفسه، ص 29.
[3] المصدر نفسه، ص38.

السيارة:

السيارة تعود إلى سعيد حيث قدم لها من رام الله إلى حيفا " وكانت سيارة الفيات الرمادية التي تحمل رقما أردنيا أبيض ..."[1] فتعتبر السيارة مكان مغلق أراد الكاتب من خلال زجاجها أن يصف لنا شوارع حيفا " حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا قادما إليها بسيارته عن طريق القدس .... كانت الحقول تشرب تحت نظره عبر زجاج سيارته."[2] ووصف لنا حالته النفسية قيادته لها.

3. الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح حيز مكان خارجي لا تحده حدود ضيقة.

مدينة حيفا: هي المدينة التي عاش فيها سعيد وغادرها اضطرارا وتعسفا في سنة 1948 لما رمي بهم في المنفى ما تصور كباقي هذا اليوم الذي كان من أكثر أيامها حزنا حيث تودع أهلها الذين ألقوا بهم في دار الغربة عبر البحر "كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص وقنابل وقصف بعيد وقريب وكأنما هذه الأصوات نفسها كانت تدفعهم نحو الميناء."[3]

وقد وصفها وصفا دقيقا من زجاج السيارة من الأماكن إلى الشوارع والطروقات وكل ما طرأ عليها من تغيرات.

ومن زجاج السيارة استطاع أن يصف لنا أماكن والشوارع والطرقات وكل ما طرأ عليها من تغيرات "تشق طريقها نحو الشمال عبر المرج الذي كان اسمه مرج بن عامر قبل عشرين سنة وتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي وحين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله وضاعت الطريق وراء ستار من الدموع."[4] وبعد عودتهم الديار وصف لنا شوارعها وأشجارها وبيوتها " وانعطف بسيارته كما كان يفعل دائما

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص6.
[2] المصدر نفسه، ص5.
[3] المصدر نفسه، ص14.
[4] المصدر نفسه، ص6.7.

وتسلق السفح محتفظا بالموقع الصحيح في الطريق الذي أخذ يضيق ووصفه للبيوت فجأة أطل المنزل المنزل ذاته دلك الذي عاش فيه وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر كان حبلا حديدا للغسيل قد دق على وتدين خارج الشرفة وتلك منه قطع بيضاء وحمراء لغسيل جديد."[1]

وفي وصفه لأشجار " وكانت أشجار السرو الثلاث التي تنحني قليلا فوق الشارع قد مدت أغصانا جديدة ورغب أن يتوقف لحظة كي يقرأ على جذوعها أسماء محفورة منذ زمن ويكاد يذكرها واحدا واحدا ولكنه لم يفعل."[2]

الشارع: فكانت الشوارع والطرقات والأزقة مسرحا لشخصيات المتمثلة في سعيد وزوجته ومن خلال تعرفنا على حيفا وشوارعها ذكرت في حديثهم عدة شوارع منها شارع القدس فيصل هرتزل وشوارع الحليصة وكانت القدس من بين الشوارع المتأثرة بالحرب " وأخذت الأسماء تنهال عليه في رأسه كما لو أنها تنفض عنها طبقة كثيفة من الغبار: وادي النسنانس شارع الملك فيصل ساحة العناطير، الحليصة الهادر، واختلطت عليه الأمور فجأة."[3] ووصف شوارع حيفا أثناء الحرب والقصف " وفجأة جاء القصف من الشرق من تلال الكراميل العالية ... وانقلبت شوارع حيفا إلى فوضى، واكتسح الرعب المدينة التي أغلقت حوانيتها ونوافذ بيوتها."[4]

الطريق: يعتبر الطريق من أكثر الأماكن الذي شهد حركة الشخصيات لأن معظم أحداثها وقعت في الطريق أثناء العودة إلى الديار " طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم ويتكلم تحدث إلى زوجته عن كل شيء."[5]

" ونجد أيضا صفية منصرفة النظر إلى التحديق نحو الطريق تارة إلى اليسار تارة إلى اليمين."[6]

---

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص 9.

[4] المصدر نفسه، ص11.

[5] المصدر نفسه، ص6.

[6] المصدر نفسه، ص7.

وفي سياق آخر " حين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي انهار الجدار كله وضاعت الطريق وراء ستار من الدموع."[1] كما ذكرت في الرواية المزارع والبحر " حيث كانت المزارع تمتد على مدى النهر وتارة إلى اليسار حين كان البحر طل بعيدا أكثر من عشرين سنة."[2]

فقد كان البحر رمز للعظمة والقوة والرهبة والغضب أما امواجه فكانت كالسهام ترفع بهم إلى شواطئ رام الله.

الميناء: يعتبر الميناء البوابة الرئيسية لليهودي " إفرات حشون" حيث من خلاله حصل على بيت وولد "وحملته شاحنة صغيرة مع أشيائه القليلة عبر الميناء الصاحب."[3] أما بالنسبة لسعيد فكان الباب الفاصل بينه وبين ابنه ومنزله.

[1] غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص7.
[2] المصدر نفسه، ص7.
[3] المصدر نفسه، ص38.

خاتمة

إن التمعن في فصول و مباحث هذا البحث ، فضلا عن طبيعة الموضوعات التي طرحت في ثناياه والتي حاولنا فيها الإحاطة بقدر الإمكان بموضوعنا المتناول في رواية (عائد إلى حيفا) للروائي الفلسطيني "غسان كنفاني " وإن كان إلزاما الوقوف على ذكر نتائجنا البحثية فلا بدّ أن نشير إلى أنّ :

- الشخصية في الرواية هي تجسيد صارخ لحالة غير مستقرة، فيتم اللجوء إلى الذاكرة كنوع من الاطمئنان أو العكس،كنوع من الاختباء و الانعزال.

- القضية الفلسطينية، قضية مركزية، جعلت الرواية تساهم في التعبير عن أزمتها.

- تجارب الشتات الفلسطيني ، تمتلك الحرية في بناء تكوين الهوية الفلسطينية و التي تزال غير قابلة للإثبات.

- الذاكرة الزمكانية وذاكرة الشخصيات تحدد دلالة النص الروائي على أساس تفاعلي يجمع بين الرواية السردية و الواقع لغسان كنفاني.

- "ذاكرة الشتات" تتكلم بصيغة الماضي عن شيء لم يعد له وجود وهو الأرض.

- رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني، رواية يمكن القول إنها رمز الاشتياق والحنين إلى الأرض.

- الشتات يفرض على الفلسطيني أن يحمل هويتين ، إحداهما من الماضي ،والأخرى من مكان ما

- شخصيات رواية (عائد إلى حيفا) تعيد كتابة الواقع كأنها نشاط حاضر وليس "ذاكرة"

- الذاكرة الفلسطينية لن تنسى أبدا نكبة 1948.

- الرواية الفلسطينية حركة كتابية متخيلة تتعامل مع الحاضر.

- الذاكرة مرجع تصوغه معاناة الفلسطينيين.

- رسم لنا غسان كنفاني لوحة فنية برؤية فكرية ذات طابع فني، يستحق التأمل فيه، فجعل من حبره سلاح للدفاع عن القضية الفلسطينية ،شأنه شأن كل كاتب أو شاعر مبدع.

كانت هذه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة ثنائية (الذاكرة و الشتات) في رواية "غسان كنفاني" (عائد إلى حيفا)، لقد وصلنا لنهاية هذا البحث، ولا يسعنا سوى أن نشكركم على حسن متابعتكم لهذا البحث، وإننا نشكر الله تعالى على نعمة العلم والهدي على مصابيحه، وها هي القطرات الأخيرة في مشوار هذا البحث تحت عنوان "الذاكرة و الشتات"، في رواية (عائد إلى حيفا) للروائي الفلسطيني "غسان كنفاني" و نرجو أن تكون رحلة مرتقية بدرجات الفكر، حيث لم يكن هذا الجهد بالجهد اليسير، ونحن لا ندعي الكمال فإنّ الكمال لله تعالى فقط فإن وفقنا فمن الله، وإن أخفقنا فمن أنفسنا، كفانا نحن شرف المحاولة، نرجو أن ينال البحث إعجابكم، والحمد لله الذي هدانا إلى هذا.

وصلّى الله وسلّم تسليما كثيرا على معلّمنا الأول وحبيبنا سيّدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصّلاة و السّلام .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عامر، دار ابن حزم، بيروت، ط4، 2014.

قائمة المصادر:

غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، درا منشورات الرمال، ط1، قبرص، 2015.

المعاجم:

إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، م1، ط1، القاهرة، مصر، 2004،.

ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، م2، ط3، بيروت، لبنان، 1999.

المراجع العربية:

أحمد بلعيكي وآخرون، الهوية قضاياها في الوعي العربي، المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2013.

باسوا جيرو وأحسن أيت الفقيه، أملشيل، الذاكرة الجماعية، مركز طارق بن زياد للدراسة والأبحاث، ط1، الرشيدية، المغرب، 2011.

جوناشان كيه فوشير، الذاكرة، مقدمة قصيرة جدا لترجمة مرة عبد السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2017.

رامي أبو شهاب، في الممر الأخير، سردية الشتات الفلسطيني، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2017.

شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،إتحاد الكتاب العرب لنشر،

صالح خليل أبو أصبع، الرواية الفلسطينية والمنفى، إتحاد الكتاب وأدباء الإطارات، م1، ط1، 2001.

المراجع المترجمة:

إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى1، تر: ثائر ديب، دار الأدب والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 2007.

جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، العدد3، 1997.

جوناشان كيه فوشير، الذاكرة، مقدمة قصيرة جدا لترجمة مرة عبد السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2017.

علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

الكبير الداداسي، تحليل الخطاب السردي والمسرحي، ط1، دار الرواية للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

ميري وتروك، الذاكرة في الفلسفة والأدب، تر: فلاح رحيم، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 2007.

المجلات والرسائل الجامعية:

أحمد العارف، التجربة النقدية عند إدوارد سعيد، قراءة في المنجز النقدي ما بعد الكولونيالي، مجلة أبعاد، مختبر الأبعاد القيمة والتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر، جامعة وهران، الجزائر، العدد7، 2018.

إدريس الخضراوي، من التاريخ إلى الذاكرة الجمعية، مصدرا للسرد، مجلة التباين، العدد 9/33، 2020.

سعيد حمداوي، ورطة الهوية بين جدلية الذاكرة والنسيان مجلة إشكالات في اللغة والأدب العربي، م3، العدد4، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2020.

سلوى قجالي، مجلة العلوم الإنسانية، رواية عائد إلى حيفا، لغسان كنفاني، بين النظرة الروائية والطرح الفلسفي، م30، عدد3، جامعة الإخوة منشوري، قسنطينة، الجزائر، 2019.

شريف سعاد، جمالية توظيف الذاكرة الثورية في الخطاب الروائي الجزائري، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م2، عدد2، المركز الجامعي تسمسيلت، الجزائر، 2019.

شيماء علي خميسي، محاضرة الذاكرة، جامعة بابل، قسم لغة القرآن، 2016.

مُحَمَّد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة (مجلة)، يونيو، 1984.

مها الهنداوي، سرديات الذاكرة المأزومة، قراءة في الرواية العربية المعاصرة، جامعة المستنصرة، بغداد، العراق، 2018.

وجيه كثراني، الذاكرة من منظور مؤرخ مجلة التباين، العدد9/33، 2020.

المواقع الإلكتروني:

رهام أبوورد، مكان الذاكرة في الدماغ، الموقع الإلكتروني، موقع موضوع، 2019.

عمر كوش، مقال الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة، الموقع الإلكتروني، معابر.

https://ar.m_wikipldia.org>wiki

https://www.bbc.com>arbic

https://www.levandehistoria.se>nood

https://ar.m.wikipdia.org

https// :interactive.alijazeera.com>aja

https://arom.wikipedia.org

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ
مدخل 5
الفصل الأول الذاكرة والشتات 10
المبحث الأول الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة 11
تعريف الذاكرة 12
موضع الذاكرة من الدماغ 13
أهمية الذاكرة 13
الذاكرة من المنظور الفلسفي 13
الذاكرة من المنظور الاجتماعي 15
الذاكرة من المنظور التاريخي 16
الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة 19
الذاكرة والهوية 22
الذاكرة المكانية في الرواية العربية 23
الذاكرة الزمنية في الرواية العربية 23
الذاكرة والشخصيات الروائية 24
أنواع الذاكرة 25
المبحث الثاني: الشتات في المفهوم الروائي 27
الشتات المصطلح والمفهوم 28
الشتات من المنظور التاريخي 29

الشتات اليهودي 30
الشتات الفلسطيني النشأة والمفهوم 37
الفصل الثاني: الجانب التطبيقي 42
المبحث الأول: الذاكرة في رواية عائد إلى حيفا 43
ذاكرة الشخصيات في رواية عائد إلى حيفا 44
ذاكرة الشخصيات الرئيسية 44
ذاكرة الشخصيات الثانوية 48
الشخصيات المساعدة 52
المبحث الثاني: الدراسة السردية لرواية عائد إلى حيفا 54
دراسة العنوان 55
الزمان والمكان 56
الزمان 57
المكان 58
خاتمة 63
قائمة المصادر والمراجع 66
الفهرس 70

ملخص

تهدف هذه الورقة الأدبية إلى تحليل موضوعين، ناتجين عن النكبة الفلسطينية وهما الذاكرة والشتات وحلم العودة.

كان التركيز على نحو أساسي في عمل "غسان كنفاني" لروايته "عائد إلى حيفا" من خلال عمله هنا سنحت لنا الفرصة بتتبع التطور الزمني و التغير المكاني لفهمه و تعبيره عن مفهوم الهوية والذاكرة الفلسطينية، فحق العودة يعتبر حلم للعديد من الفلسطينيين الشتات، والذي لا يجوز التصرف فيه، فلقد قرر الفلسطيني أن يصمت واعتبر ذاكرته أشرف من أن تتعرض هي الأخرى إلى الاغتصاب وهي تختزن قضية رأي عام.

لقد ركزنا في دراستنا البحثية وفي المستوى النظري على ماهية الذاكرة، وكيف تشتغل بصفة عامة والرواية الفلسطينية خاصة، وما علاقتها بالشتات الفلسطيني والتأكيد على الذاكرة التي يحاول الأعداء سرقتها وطمسها.

بدون توفر الرواية لا يمكن الاستمرار، في كشف ورسم وتخطيط هيكلة التاريخ الذي يعتبر متحفا للذاكرة.

الكلمات المفتاحية : الرواية العربية المعاصرة، الذّاكرة، الشّتات.

Résumé :

Cet article littéraire vise à analyser deux thèmes issus de la Nakba palestinienne, à savoir la mémoire, la diaspora et le rêve de retour. Nous nous sommes concentrés sur le travail de « Ghassan Kanafani » pour son roman « returning to Haifa », à travers son travail ici, nous avons eu l'occasion de retracer le développement temporel et spatial de sa compréhension et de son expression du concept d'identité et de mémoire palestiniennes, car le droit au retour est un rêve pour de nombreux Palestiniens de la diaspora, dont il ne faut pas se débarrasser.

Dans notre étude de recherche et au niveau théorique, nous nous sommes concentrés sur ce qu'est la mémoire et comment elle fonctionne en général, et le roman palestinien en particulier, et quelle est sa relation avec la diaspora palestinienne, en mettant l'accent sur la mémoire qui Les ennemis essaient de la voler et de l'effacer.

Sans le roman, il n'est pas possible de continuer à révéler, dessiner, et planifier la structure de l'histoire, qui est un musée de la mémoire.

Les mots clés : Le roman arabe contemporain, La mémoire, La diaspora.